لوامع الخركوشي
بين التذكير والتفسير

محمد عطا أحمد يوسف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

لوامع الخركوشي بين التذكير والتفسير

إعداد

الأستاذ الدكتور: محمد عطا أحمد يوسف

أستاذ الدراسات الإسلامية

كلية الآداب- جامعة طنطا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب "اللوامع وترتيب المجالس" للإمام أبي سعد عبد الملك الخركوشي الواعظ المتوفي (٤٠٦هـ) يعد درة من درر التراث النادرة التي جمعت في صفحاتها بين علمين من أشرف العلوم، هما: علم التذكير، وعلم التفسير.

أما أولهما وهو علم التذكير ـ هكذا سماه الخركوشي في مقدمة كتابه ـ فقد اكتسب شرفه ممن قام به وهو محمد ﷺ الذي أمره ربه في كتابه قائلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [سورة الغاشية:٢١].

فسماه مذكرا، وجعل من الذكر ما ينفع المؤمنين؛ فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **[سورة الذاريات:٥٥]**.

وسمى كتابه ذكرا مباركا؛ فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ **[سورة الأنبياء:٥٠]**.

وعلم التذكير ـ كما سماه الخركوشي ـ هو علم الدعوة إلى الله على بصيرة، وهو عمل الأنبياء، والعلماء، والصالحين من بعدهم.

وأما علم التفسير فشرفه من شرف موضوعه، وهو إيضاح، وبيان، وتفصيل، وتفهيم، لكتاب الله عز وجل، وأول المفسرين له هو محمد ﷺ قولا، وعملا، فكان ﷺ ترجمة عملية؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها تصف رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن.(١)

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، برقم:٧٤٦.

وللمدرسة النيسابورية التي ينتمي إليها الخركوشي في التفسير مذاق خاص، ومنهج علمي وسطي دقيق جمع فيه علماؤها بين أطراف الاتجاهات الفكرية المتقاربة، وهكذا جمع الخركوشي بين هذين العِلمين الشريفين فبرزت عبقريته في الجمع بين علمي: التذكير والتفسير في كتابه: "اللوامع وترتيب المجالس"

فجعل التذكير هدفه، والتفسير منهجه، فجاءت ثماره يانعة، فهو ذخيرة للدعاة والمُذَكِّيرِين، وهو حافظة علمية للعلماء والمفسرين.

وتميز فيه الخركوشي بأسلوبه العذب الرقراق، وعبارته السهلة الواضحة، وبأدلته القرآنية المبهرة ورواياته الدقيقة المسندة، وآثاره وأخباره العجيبة اللافتة.

وأسسه على مئة وتسعة مجالس، كل مجلس بناه على آية مختارة لامعة من بين أخواتها اللوامع من كتاب الله، واختار لها منهجا تفسيريا دقيقا محددا يقوم على بيان ما جاء بشأنها من: (التنزيل، والتفسير، والتأويل، والعبارة، والإشارة، والأخبار، والآثار) هكذا خط الخركوشي منهجه في مقدمة كتابه، والتزمه في سائر مجالسه.

ولهذا كان تقديم هذا الكتاب إلى المكتبة الإسلامية محققا مدققا، مخرَّجا من الأهمية بمكان.

والخركوشي من العلماء المعدودين في قرنه الذي عاش فيه، القرن الرابع الهجري وهو من المعروفين أيضا في زماننا هذا من خلال ما تركه من تراث علمي سعى العلماء إلى تحقيقه[١] فما عسانا أن نقدم عنه من جديد في بحثنا هذا، وقد سبقنا الباحثون بالحديث عن علمه وزهده وورعه؟

إن الجديد هنا الذي وقفنا أمامه هو: تلك الرؤية الإصلاحية التي قام بها الخركوشي داخل الفكر الصوفي في عصره، وامتد أثرها في تلامذته.

وترتكز نظرة الخركوشي الإصلاحية على وسطية الدعوة إلى الله من خلال الفكر الصوفي، فسترى في جديد سيرته في بحثنا هذا أنه لم يعتزل المجتمع ليعيش في خلواته، ولم ينغمس في دنيا الناس فيتلهي بشهواته، وإنما كان عالما بصيرا بما يصلح القلوب، ويصلح

(١) سنعرض ذلك في حديثنا عن مؤلفاته.

العقول، ويصلح الأجساد أيضا، فكما كانت له مجالسه التربوية، فقد شيَّد مدرسة علمية، وشيد مشفي صحية، وأدار كل ذلك إدارة فكرية، وعقلية باهرة كانت مثلا ونموذجا جعلت من يراه يتذكر به سيرة الصحابة والتابعين رضى الله عنهم. ومن مدرسته الفكرية الوسطية تخرجت أجيال من علماء المسلمين البارزين؛ ففي علم التفسير الصوفي: الإمام القشيري صاحب اللطائف، وفي علم الحديث الإمام الحاكم صاحب المستدرك، والبيهقي صاحب السنن، وأما في التربية الأخلاقية والنفسية، والزهد الصحيح؛ فخلق كثير.

وللخركوشي غير كتابه "اللوامع وترتيب المجالس" من المصنفات العلمية ما يعرفه المتخصصون وغيرهم كـ (شرف المصطفي، وتهذيب الأسرار، والبشارة والنذارة، واليسر بعد العسر) وغير ذلك من المطبوع، والمخطوط، والمفقود.

وقد أتى بحثنا هذا "لوامع الخركوشي بين التذكير والتفسير" ليكشف عن هذا النمط من التراث الإسلامي الفريد الذي يقدم تذكيرا على منهج التفسير، ويقدم عالما له نظرته الإصلاحية الفريدة، ويشحذ العزائم لشباب الباحثين لينقبوا عما بقى من تراث الخركوشي فيحققوه لتفيد منه أمتنا الإسلامية في حاضرها ومستقبلها وبخاصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ولأجل هذا ضم هذا البحث في محتواه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الخركوشي ورؤيته الإصلاحية.

والجديد فيه أن نرى نموذجا من المجددين الجامعين لأطراف الفكر الإسلامي في صورته الوسطية المعتدلة التي تثبت أقدام المسلم على الأرض، وترتقى بروحه وقلبه إلى السماء. فلا ينعزل به عن دنيا الناس، ولا يجعله طاغية فيها.

والمبحث الثاني: المجالس التفسيرية.

والجديد فيه بيان كيف مزج الخركوشي بين علمين معروفين لدى من كان قبله، ومن أتى بعده، وصار في المزج أو الجمع بصورة علمية منهجية جديدة؛ فجعل التذكير هدفا والتفسير منهجا؟

واستدعى ذلك أن يضم هذا المبحث أمرين: الأول، الوقوف أمام المقدمة التي وضعها الخركوشي في مقدمة كتابه اللوامع شرحا وتحليلا.

والثاني ذكر فهارس الكتاب كاملة فقد وضعها الناسخ قبل مقدمة الكتاب.

وألحقنا في هذا المبحث أيضا صورا ضوئية لبعض صفحات كتاب " اللوامع ... " من أوله ومن آخره، مع بيان صحة نسبته للخركوشي.

والمبحث الثالث: كتاب اللوامع وترتيب المجالس.

وفيه ذكرنا ثلاثة مجالس من كتاب "اللوامع..." لم يسبق نشرها، وهي: مجلسا من أوله، ومجلسا من وسطه، ومجلسا من آخره، وألحقنا ذلك بتحليل علمي للمجلس الأول فقط؛ خشية الإطالة، كما أننا ذكرنا هذه المجالس الثلاثة دون ذكر حواشيها خشية الإطالة أيضا.

وأخيرا فإننا نشكر الأستاذ الدكتور/ خالد فهمي أستاذ اللغويات بجامعة المنوفية الذي عثر على نسخة فريدة وحيدة مخطوطة لكتاب "اللوامع وترتيب المجالس" حصل عليها من مكتبة الفاتيكان، فأهداها لنا منذ زمن لنقوم بتحقيقها أنا وفريق من الزملاء، آملين أن نُخرج هذا السفر محققا في صورة تليق بشرف ما حواه من علم، كما تليق بالإمام الخركوشي صاحب المكانة البارزة بين علماء القرن الرابع الهجري.[١]

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة النحل:٩].

(١) ولإنجاز هذا التحقيق في صورة علمية دقيقة شكلت لجنة علمية مكونة: د/ محمد عطا أحمد، والدكتور/ أحمد على سالم وهما متخصصان في علم التفسير، والأستاذ / محمد السري، والأستاذ محمد الغنام، متخصصان في علم التذكير، فهما واعظان بوزارة الأوقاف المصرية.

المبحث الأول: الخركوشي ورؤيته الإصلاحية.◈

من هو الخركوشي؟

هو عبد الملك، بن محمد، بن إبراهيم، وله كنيتان:

الأولى: هي ابن أبي عثمان؛ فأبو عثمان كنية تطلق على أبيه: محمد بن إبراهيم.

والثانية: هي أبو سعد الواعظ، وأبو سعد الواعظ هي كنيته هو، يقول الخطيب البغدادي: (عبد الملك: بن أبي عثمان، واسم أبي عثمان: محمد بن إبراهيم، ويكنى عبد الملك أبا سعد الواعظ...)[١].

وهذه الكنية الثانية يقع فيها خلط يسير بين "أبي سعد، وأبي سعيد . بياء بعد العين" وسبب ذلك أن الكتاني في "رسالته المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة" سماه: أبا سعيد، فقال: (وكتاب شرف المصطفي لأبي سعيد بكسر العين عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الواعظ المتوفي: بنيسابور سنة ست وأربعمائة...).[٢]

وسنزيد هذه المسألة وضوحا بعد حين.

نسبته: ◊

عُرِفَ الإمام عبد الملك بنسبته إلى خَرْكُوش، وينسب إلى نيسابور على قِلة، حتى أن من ينسبه إلى نيسابور من العلماء، يخصصها بنسبته إلى خَرْكُوش، أما نيسابور فهي مدينة من مدن إيران[٣] فما هي خركوش؟

خَرْكُوش: بالكاف، وكتبها ياقوت الحموي في معجمه بالجيم، هكذا " خَرْجُوش"

وضبطها بقوله: (بفتح أوله، وبعد الراء جيم، وآخره شين معجمة، والخراسانيون يقولونه بالكاف " خَرْكُوش": وهي سكة[١] بنيسابور[٢] نسب إليها أبو سعد الخَرْجُوشي. أو الخركوشي...).[٣]

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ١٨٨.

(٢) الرسالة المستطرفة صـ ١٠٩.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لـ محمد البشاري المقديسي ت / د محمد مخزوم صـ ٢١٣.

ويقع التباس في هذه النسبة بين عبد الملك الخركوشي صاحبنا وبين: عبد الرحمن بن الحسن الأصبهاني النيسابوري الخركوشي؛ وسبب ذلك أن لكل منهما كتابا يسمى " شرف المصطفي " ، يقول الكتاني في رسالته : (عبد الملك بن محمد بن إبراهيم ... وهو غير أبي سعد بسكون العين عبد الرحمن بن الحسن الأصبهاني النيسابوري صاحب كتاب شرف المصطفي أيضا)[٤] وأحسب أن الكتاني قد خلط هنا بين أبي سعد، وأبي سعيد، وأن عبد الملك الخركوشي صاحبنا هو أبو سعد ـ دون ياء ـ وذلك لدوران اسمه هكذا في المصادر القديمة.[٥]

ألقابه:

لقبه المترجمون له بـ (الواعظ) وهو لقب يلازمه في كل كتب التراجم تقريبا:

قديمها وحديثها[٦] وعلى الرغم من أننا سنرى في مجالسه التي سنتناولها بعد حين أنه لغوى فذ، ومفسر بارز، بل وله من الشعر نصيب أيضا، لكن لقب الواعظ لزم اسمه، فقالوا في تعريفه دائما: "أبو سعد الواعظ ".

---

(١) يقول ياقوت الحموي: "السكة لها ثلاثة معان: أولها قوله، عليه السلام: خير المال سكة مأبورة وفرس مأمورة، فالسكة ههنا الطريقة المستوية المصطفّة من النخل، وبذلك سميت الأزقّة سككا لاصطفاف الدور فيها كطريق النخل، والسكة: الحديدة التي يضرب عليها الدينار، والسكة: الحديدة التي تحرث بها الأرض، والمراد ههنا هو الأوّل لأنّه أراد المحلّة التي تصفّف الدور فيها عند عمارتها: وهذا الموضع في البصرة، وأمّا اصطفانوس فرووا عن ابن عباس أنّه قال: الحظوظ المقسومة لا يقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها، ألا ترى إلى سكة اصطفانوس كان يقال لها سكة الصحابة نزلها عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ، فلم تضف إلى واحد منهم وأضيفت إلى كاتب نصراني من أهل البحرين وترك الصحابة؟" معجم البلدان ٣/٢٣١.

(٢) نيسابور، بفتح النون وكسرها مدينة في مقاطعة خراسان شمال شرق إيران قرب مدينة مشهد. قال عنها ياقوت: " بلاد الدنيا ثلاثة: نيسابور، لأنها باب الشرق، ودمشق؛ لأنها بال الغرب؛ والموصل؛ لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها " راجع الشبكة العنكبوتية موقع الموسوعة الحرة، ومعجم البلدان لياقوت.

(٣) معجم البلدان ٢/ ٣٥٨

(٤) الرسالة المستطرفة صـ١٠٩.

(٥) راجع تاريخ بغداد ١٢/١٨٨، وغيره.

(٦) تبيين كذب المفتري لابن عساكر صـ ٢٣٣ وغيره وقد ردد هذا اللقب كل من حقق كتب الخركوشي في العصر الحديث.

حياته وبعض صفاته:

لم تحدد المصادر المتاحة لنا تاريخ ميلاد الإمام عبد الملك الخركوشي؛ لكن يمكننا الاجتهاد في تخمين تاريخ وفاته وذلك قياسا على معرفة ميلاد أحد معاصرية، فقد كان أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المولود " ٣٢١هـ " ، والمتوفي " ٤٠٥هـ" : أحد معاصري الخركوشي، بل ومن تلاميذه الذين رووا عنه كما نص البغدادي، وابن عساكر، وغيرهما(١)؛ فإذا كان تاريخ وفاة الخركوشي هو " ٤٠٦هـ " أي بعد الحاكم بعام واحد؛ فمعنى ذلك أنه قد وُلِدَ بعد الحاكم بأعوام قليلة ، قد تكون عامين أو ثلاثة أعوام على الأكثر، أى ربما تكون ولادته ما بين عامي "٣٢٢هـ إلى ٣٢٣هـ " والله أعلم .

بل ولم تحدد في أي بقاع خركوش ولد؛ لكنها أجمعت على أنه من أهله.(٢)

وتمثل حياة الإمام الخركوشي نسيجا علميا واجتماعيا فريدا ربما لا نجدها إلا عند قليل، بل نادر من العلماء، إذ لم يعزله تصوفه عن حياة الناس، وخدمتهم، والسهر على مصالحهم، وإليك شهادة أحد طلابه الذين رووا لنا أحاديثه، ونقلوا لنا كثيرا من علمه. فقد كان أبو عبد الله الحاكم النيسابوري " ت ٤٠٥هـ)(٣) من تلامذته على الرغم من كونه أكبر سنا من الخركوشي؛ لكنه روى عنه وأخذ عنه العلم كما سيأتي في الحديث عن علمه، ونقل لنا الحاكم وصفا لحياة أستاذه

ومربيه عبد الملك الخركوشي، يقول الحاكم: " أَبُو سعد بن أَبِي عُثْمَانَ الْوَاعِظ الزَّاهِد، تفقه فِي حَدَاثَة السن وتزهد، وجالس الزهاد والمجردين، إِلَى أَن جعله الله خلفا لجَماعَة من تقدمه من الْعباد الْمُجْتَهدين والزهاد القانعين".(٤)

---

(١) تاريخ بغداد ١٨٨/١٢، وتبيين كذب المفتري صـ ٢٢٨.

(٢) راجع تاريخ بغداد١٢/ ١٨٩ وطبقات السبكي ٢٢٢/٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٥٦ ط الرسالة. وغيرها.

(٣) الحاكم: أبو عبد الله الحاكِم النَّيْسَابُوري (٣٢١ – ٤٠٥ هـ = ٩٣٣ – ١٠١٤ م) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطّهماني النيسابوريّ، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيّع. راجع ترجمته في: طبقات السبكي ٣: ٦٤ والوفيات ١: ٤٨٤ وتبيين كذب المفتري ٢٢٧ – ٢٣١ والمستطرفة ١٧ وغاية النهاية ٢: ١٨٤ وميزان الاعتدال ٣: ٨٥ ولسان الميزان ٥: ٢٣٢ وتاريخ بغداد ٥: ٤٧٣ والوافي ٣: ٣٢٠.

(٤) تبيين كذب المفتري صـ٢٣٤.

وحداثة السن التي أشار إليها الحاكم رحمه الله تعنى ما قبيل مرحلة الشباب، وهذا يعني أن الخركوشي نشأ نشأة علمية خالصة، وأنه اتجه إلى التصوف، وعرف عنه الوعظ "الدعوة إلى الله " كما عرف عنه الزهد في زخارف الدنيا في مقتبل حياته، ذلكم العمر الذي يحرص فيه أبناء آدم على حيازة ما يباح من متاع الدنيا، فكانت حياته بذلك ـ كما وصفها معاصروه ـ صورة من صور الذين تقدموا من سلف أمتنا الصالح ممن عرفوا بالاجتهاد في العبادة، والإعراض عن الدنيا وحب الزهادة.

ويكشف الحاكم عن بعض الجوانب الاجتماعية للإمام الخركوشي؛ فيقول: (لَزِمَ منزله ومجلسه وبذل النَّفس وَالْمَال والجاه للمستورين من الغرباء والفقراء الْمُنْقَطع بهم حَتَّى صَار الْفُقَرَاء فِي مجالسه كَمَا حدثونَا ... عن مجْلِس سُفْيَان الثوري كأمراء.

قد وَفقه الله تَعَالَى لعمارة الْمَسَاجِد والحياض والقنَاطر والدروب وَكِسْوَة الْفُقَرَاء العراة من الغرباء والبلدية حَتَّى بنى دَارا للمرضى بعد أَن خربَتْ الدّور الْقَدِيمَة لَهُم بِنَيْسَابُورَ ووكل جمَاعَة من أَصْحَابه المستورين بتمريضهم وَحمل مِيَاههمْ إِلَى الْأَطِبَّاء وَشِرَاء الْأَدْوِيَة وَلَقَد أَخْبَرنِي الثِّقَة أَن الله تَعَالَى ذكره قد شفي جمَاعَة مِنْهُم فكساهم وزودهم إِلَى الرُّجُوع إِلَى أوطانهم...).[1]

هذا جانب من حياة الإمام الخركوشي الاجتماعية؛ نرى فيها شخصية علمية اجتماعية، يفتح منزله للمسلمين، ويوظف مجلسه للإنفاق في وجوه الخير الآتية:

ـ إنفاق المال للمعوزين من فقراء المسلمين. وإطعامهم، وكسوتهم.

ـ إيواء الغرباء وأبناء السبيل ممن تنقطع بهم السبل.

ـ عمارة المساجد، والحياض، والقناطر، والدروب.

ـ بناء " مشفي " للمرضى. والقيام على شأنها بجلب الأطباء إليها، والقيام على حاجة المرضى، وذلك بإدارة ذكية لمريديه باستعمالهم في تمريض المرضى والقيام على شأنهم.

ـ شراء ما يلزم المرضى من أدوية، والقيام على شأنهم في علاقاتهم بالأطباء.

---

(١) ابن عساكر تبيين كذب المفتري مع تصرف يسير صـ ٢٣٤.

ومع كل هذا النشاط الاجتماعي في بلده خركوش، نجده في خاصة نفسه يعمل بتجارة القلانس، فيصنعها بيديه، ويبيعها للناس ليأكل من عمل يده، وفي ذلك دلالة على اتباعه نهج الأنبياء في حياتهم.

فقد روى عنه أحد تلاميذه وهو "عبد الغافر بن إسماعيل" ـ إجازة ـ قال: (عبد الْملك بن أَبِي عُثْمَانَ مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيمَ النَّيْسَابُورِي أَبُو سعد الزَّاهِد الخركوشي الْوَاعِظ الْأُسْتَاذ الْكَامِل أحد أَفْرَاد خُرَاسَان علما وزهدا وورعا وخشية وَطَرِيقَة ... وَكَانَ يعْمل القلانس وَيَأْمُر بِبَيْعِهَا بِحَيْثُ لَا يدرى أَنَّهَا من صَنعته وَيَأْكُل من كسب يَده وَبنى فِي سكته الْمدرسَة وَدَار المرضى ووقف أوقافا عَلَيْهَا وَوضع فِي الْمدرسَة خزانَة للكتب وصنف أعدادا من الْكتب).[1]

ويضيء لنا هذا النص جوانب جديدة من حياة الخركوشي إضافة إلى ما ذكره أبو عبد الله الحاكم آنفا، إذ لم يكن الخركوشي يعلم شيئا عن هذا النوع من التصوف المدعى الذي يعيش أصحابه على عطاءات الآخرين وإحسانهم، بل كانت له صنعة معلومة " صنع القلانس " ولم يفهم الخركوشي من زهده في الدنيا أن يعتزل حياة الناس، وتقديم النافع لهم، أو يحيى بلا عمل عالة على كسب سواه.

بل ولم يقف نشاطه الاجتماعي على الجانب الصحي ببناء " المشفي" والإشراف على العمل فيه، وإنما كان له نشاطه العلمي أيضا، فقد أدرك الخركوشي الصوفي الفاهم فهما صحيحا للإسلام: أن العلم والصحة هما عماد حياة الإنسان السوى الصانع للحضارة النافعة.

ولهذا (بنى فِي سكته الْمدرسَة وَدَار المرضى ووقف أوقافا عَلَيْهَا وَوضع فِي الْمدرسَة خزانَة للكتب ...).

فكما بنى الخركوشي "مشفي" بنى مدرسة يتعلم فيها أبناء المسلمين، ويحارب من خلالها الجهل ورذائله، وهل ترى حضارة تقوم على غير العلماء الأصحاء؟

وأوقف للإنفاق على هذين المشروعين الحضاريين: " المشفي، والمدرسة " وقفا للإنفاق عليهما، ومن اللافت للنظر أن يسجل النص السابق حرص الخركوشي على إنشاء مكتبة علمية أيضا للمدرسة!

---

(١) تبيين كذب المفتري صـ ٢٣٦.

أى عقلية تنويرية حضارية كانت عقلية الخركوشي المتصوف الذي ينتمى إلى القرن الرابع الهجرى ؟

صفاته:

كان الخركوشي رحمه الله " ثقة، صالحا، ورعا، زاهدا".(١)

يصفه أحد تلاميذه بقوله: (وَكَثِيرًا أَقُول أَن لَا يباهي بأجمع مِنْهُ علما وزهدا وتواضعا وإرشادا إِلَى الله تَعَالَى ذكره وَإِلَى شَرِيعَة نبيه الْمُصْطَفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلى آله وَإِلَى الزاهدين فِي الدُّنْيَا الفانية والتزود مِنْهَا للآخرة الْبَاقِية زَاده الله تَوْفِيقًا وأسعدنَا بأيامه ووفقنَا للشكر لِلَّه تَعَالَى ذكره بمكانه إِنَّه خير معِين وموفق).(٢)

ويقول عبد الغافر الفارسي "٤٤٨هـ" واصفا الخركوشي أيضا: (الْأُسْتَاذ الْكَامِل أحد أَفْرَاد خُرَاسَان علما وزهدا وورعا وخشية وَطَرِيقَة تفقه على أَبِي الْحسن الماسرجسي ثمَّ ترك الجاه وجالس الزهاد.

ـ وَيذكر بعض مواقف الخركوشي قائلا: (سَمِعت أَبَا الْفضل مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّهِ الصرام الزَّاهِد يَقُول رَأَيْت الْأُسْتَاذ ـ يعنى الخركوشي ـ يَسْتَسْقِي وَيَقُول ...

إِلَيْك جئنَا وَأَنت جِئْت بِنَا

وَلَيْسَ رب سواك يغنينَا

بابك رحب فنَاؤه كرم

تؤوي إِلَى بابك المساكينَا...

ثمَّ يَدْعُو وَيَقُول اللَّهم اسقنَا قَالَ فَمَا أتم ثَلَاثًا حَتَّى سقينَا كأفواه الْقرب).(٣)

وتكشف كلمات تلاميذه، ومن بعدهم عن صفات الخركوشي الشخصية فإلى جانب صدقه في رواية الحديث النبوي الشريف، حتى نال درجة الثقات، وعلمه وزهده تبرز صفة تواضعه، وهي صفة جديرة بالنظر والتأمل، فمثله وقد آتاه الله من العلم والفضل، والقبول عند الناس ما

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/١٨٨ وما بعدها.

(٢) تبيين كذب المفتري، وهذا قول الحاكم صـ ٢٣٤.

(٣) تبيين كذب المفتري صـ ٢٣٥.

يجعله تياها فخورا إلا أنه تواضع لله تعالى، وعلم التواضع لتلاميذه، ومريديه، ثم إنه داعية واعظ له منهجه الدعوى الواضح المعالم، في إرشاد الناس إلى الله عز وجل، وإلى سنة نبيه ﷺ، على بينة من الشرع الحكيم؛ وهذا يكشف عن توازن فكرى وسطى تتميز بها شخصية الخركوشي. حتى وصفه بعض طلابه بـ " الأستاذ الكامل " وهي صفة قلما يحوزها العلماء.

ولِمَ لا، وقد رأى طلابه ومعاصروه في تقواه، وفي قبول دعائه في السقيا ما جعل السماء تفيض عليهم من مائها فتسقيهم بعد الظمأ، وتجرى أرزاقهم بعد القحط.؟

ولكلمات ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، وابن السبكي (ت ٧٧١هـ) في بيان صفات الخركوشي وقع خاص فهو عندهما : (الزَّاهِد الْوَاعِظ الْفَقِيه الشَّافِعِي أحد الْمَشْهُورين بأعمال الْبر وَالْخَيْر والزهد فِي الدُّنْيَا وَكَانَ عَالما فَاضلا ... وهو من أَئِمَّة الدّين وأعلام الْمُؤمنِينَ ترتجى الرَّحْمَة بِذكرِهِ»[١].

◊ **عقيدته: "رؤيته الإصلاحية للتصوف "**.

كان الخركوشي سُنِّيُّ العقيدة، صوفيُّ الطريقة، أثرى المنهج، شافعي المذهب:

فأما عقيدته: فلم يتكلم عنه أحد من تلاميذه أو معاصريه بما يشوبها، وقد كان عصره يموج بالاتجاهات الفكرية كالتشيع، والاعتزال، وعلم الكلام، وغير ذلك.

وأما تصوفه: فللخركوشى رؤيته الإصلاحية الخاصة في التصوف؛ فإلى جانب ما أسلفناه عن إقباله على حياة الناس عونا لهم، وقضاء لشؤونهم، وتخفيفا لهموم دنياهم، وممارسته لعمله بيده ليأكل من كسبه، وفهمه الدقيق العميق لشمولية دينه الجامع بين دنياه وآخرته، ورفعه لشأن العلم، وشأن الصحة العامة والخاصة، فإلى جانب كل ذلك ترك لنا الخركوشي رؤيته الإصلاحية المحددة الخاصة في تعريفه للتصوف، وذلك في كتابه " تهذيب الأسرار" فقد بدأه بباب عنوانه :

(اختلاف أهل الصفوة في معنى التصوف، وأقاويل مشايخ الصوفية فيه)[٢].

---

(١) اللباب لابن الأثير ٤٣٦/١.وطبقات الشافعية لابن السبكي ٢٢٢/٥.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشى، صـ ٢٥ ـ ٣٥.

وعرض فيما يزيد عن عشر صفحات أقوالهم ثم ختمها بقوله هو :(وأنشدت في معنى التصوف:

لا تسأمنَّ مقالتي يا صاحِ *** واقبل هُديتَ مقالة النُّصاحِ
ليس التصوف حيلةً بطالةً *** وتكلفاً وتقشفاً وتواجداً بصياحِ
ليس التصوف حيلةً وبطالةً *** وجهالةً ودعابةً بمزاحِ
بل عفةٌ وفتوةٌ ومروةٌ *** وزهادةٌ وطهارةٌ بصلاحِ
وتيقنٌ وتصبرٌ وتوكلٌ *** وتورعٌ وتخشعٌ بسماحِ
من قامَ فيه بحقهِ وحقوقهِ *** وخلا عن الحدثانِ والأشباحِ
تتشعشعُ الأنوارُ من أسرارهِ *** كتشعشُعِ المصباحِ في المصباحِ
لم تخطرْ الدنيا له في بالِهِ *** هانت عليه حظوظُ كل مباحِ
حركاتُه موسومةٌ بسعادةٍ *** خطواتُه مرسومةٌ بنجاحِ
فكأن حالَ الفقرِ جلبابٌ له *** والصبرَ في البلوَى عليه وشاحِ
يا عزّهُ في الذّل يا أحزانه *** تحت التّبسُم ليس منه براحِ
فإلى الرّشادِ غدوهُ ورواحُه *** وإلى الصلاحِ مساؤُه وصباحِ
صاد: الصّفَا ، فالواو من صِدقِ الوَفَا، *** فاء الفتوّةِ ، فاغتنمْ يا صاحِ
يا رب وفقنا كما وفقتهم *** وارفق بنا يا فالق الإصباح[1]

إن تحليل هذه الأبيات يكشف لنا عن رؤية الخركوشي الإصلاحية لمفهوم التصوف، بل وفي عصره ، فالتصوف كما يراه الخركوشي لا علاقة له بما نراه نحن في زمننا من هذه الشطحات التي لا رابط لها ولا ضابط من صحيح النقل أو صريح العقل، وليس في التصوف احتيال على الجهلاء بالأشكال الموهومة من الخرق البالية أو البزات الملونة الزاهية، ولا يعرف التصوف الصحيح الذي يراه الخركوشي هذا المفهوم من البطالة والحياة من كسب الآخرين، ولا علاقة للتصوف الصحيح بالجهل والتخلف، والعيش على نتاج غير المسلمين ، بل لا يعرف التصوف غير الجد والاجتهاد والبذل وخدمة العباد.

(١) تهذيب الأسرار للخركوشى صـ٣٨.

وكأن الخركوشي في قوله:

ليس التصوف حيلة وبطالة *** وجهالة ودعابة بمزاحِ

يدعو إلى مواجهة ما شاب التصوف الصحيح في عصره من بعض الشوائب من الاحتيال، والبطالة والجهالة، والتلاعب بمشاعر الخلق، وهو بهذا الفهم الدقيق العميق يحمل دعوة إصلاحية لهذه الطرق الصوفية التي أصابها بعض العطب والزلل والخلل والدخن، كان هذا في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه، وأحسب أن الخركوشي لو عاد إلى زماننا نحن اليوم ونظر في مفهوم التصوف لأنكره وأنكر كثيرا مما نراه من أتباعه. ولعل في تحقيقنا لهذه المجالس نتبين جانبا من جوانب التجديد والإصلاح في التصوف من خلال ما طرحه الخركوشي من تذكير وتفسير.

وذلك؛ لأن مفهوم التصوف عند الخركوشي ـ هذا المصلح الفذ ـ إضافة إلى ما سبق يتمثل فيما يأتي من أبياته القائل فيها يصف التصوف:

بل عفةٍ وفتوةٍ ومُروّةٍ *** وزهادةٍ وطهارةٍ بصلاحِ

وتيقنٍ وتصبرٍ وتوكلٍ *** وتورعٍ وتخشُّعٍ بسماحِ

تلك هي أسس التصوف كما يراها الخركوشي:

[العفة، الفتوة، المروءة، الزهد، الطهارة، الصلاح، اليقين، الصبر، التوكل، الورع، الخشوع، التسامح]

هذه اثنا عشر أصلا للتصوف الصحيح كما يراها الخركوشي؛ لو دققت فيها لوجدتها تتناول شخصية المسلم ظاهرا وباطنا، وتستطيع أن تميز بين: ستة من الأصول ظاهرة، وهي:

[العفة، الفتوة، المروءة، الزهد، الطهارة، الصلاح]

وستة من الأصول باطنة وهي:

[اليقين، الصبر، التوكل، الورع، الخشوع، التسامح]

ويمكننا أن نقدم تعريفا مختصرا موجزا لهذه الأصول: الظاهرة والباطنة؛ لنقف من خلالها على النهج الإصلاحي الذي سعى إليه الخركوشي داخل مفهوم التصوف:

١. العفة، وتعني: (هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة).[١]

٢ . الفُتُوَّةُ: مَنْزِلَةٌ حَقِيقَتُها الإِحْسانُ إلى النّاسِ، وكَفُّ الأَذى عَنْهُم، واحْتِمالُ أَذاهُم باسْتِعْمالِ حُسْنِ الخُلُقِ مَعَهُم، ومِن صُوَرِها: تَرْكُ الخُصُومَة، والتَّغافُلُ عَن الزَّلَّةِ، ونِسْيانُ الأَذِيَّة. لم يأتِ اسمُ الفُتُوَّةِ في القرآن، ولا في السُّنَّة، ولا في لسانِ السَّلَفِ، وإنَّما اسْتَعْمَلَهُ مَن بَعدَهُم في مَكارِمِ الأخلاقِ، وأقدَمُ مَن تَكَلَّمِ في الفُتُوَّةِ من المتصوفة: جعفر بن محمد، ثم الفُضيل بن عياض، والإمام أحمد، وسَهْلُ بن عبدالله، والجُنَيد، وغيرهم).[٢]

٣. المروءة، وهي صفة العقلاء ذوى الأحلام وأهل البصائر، وهي في عرف العلماء لا تخرج عما قاله الماوردي: (المروءَة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتَّى لا يظهر منها قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجَّه إليها ذمٌّ باستحقاق).[٣]

٤. الزهد، عرفه الخركوشي بقوله: (اختلف الناس في تعريف الزهد، فقالت طائفة: الزهد ترك حب المنزلة، وقالت طائفة، الزهد ترك ما يشغل عن الله، وقالت طائفة: الزهد رفض الدنيا، وقصر الأمل، وقالت طائفة: الزهد ترك راحة النفس وسرورها، وقالت طائفة الزهد الثقة في الله تعالى، وقالت طائفة: الزهد إخراج المخلوقين من القلب، وحب الخلوة، وقالت طائفة: الزاهد من لا يرى الدنيا وأهلها وما فيها، وإنما يرى الله سبحانه وحده، فإذا كان كذلك لم يأخذ منها شيئا إلا من قبل الله عز وجل).

وفي نهاية ما نقله عن الزهد أنشد الخركوشي قائلا:

من كان يرغبُ في الدنيا وزينتِها *** فلتعترفْ نفسه بالذُلِّ أو تدعِ

وليعلمْ المرءُ أن العزَّ متصلٌ *** بالزهد فيها وأن الذلَّ في الطمعِ

ما استكثر المرء من مال ولا ولد *** إلا ومَدّ طباعَ الحرصِ والجشع.[٤]

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٥١.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٩/٥٢٢) – مشارق الأنوار (٢/١٤٦).

(٣) أدب الدنيا والدين (ص ٣٢٥).

(٤) تهذيب الأسرار للخركوشى صـ ١١٩ ـ ١٢١.

٥. الطهارة الباطنة: يقول: "الطهارة: يُعنى بها : التخلي عن رذائل الأخلاق ليصح التحلي بحميدها.[١]

٦. الصلاح (سلوك طريق الهدى، واستقامة الحال على ما يدعو إليه الشَّرع، والعقل. ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الشورى:٤٠].[٢]

٧ . اليقين: (طُمأنينة القَلْب، على حقيقة الشيءِ وتحقيق التصديق بالغَيْب، بإزالة كلِّ شكٍّ وريْب).[٣]

٨. الصبر: (هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة).

٩ . التوكل: هو أن تقبل بالكلية على ربك عز وجل، وتعرض عما دونه).[٤]

١٠ . الورع: هو اجتناب الشبهات؛ خوفًا من الوقوع في المحرمات.[٥]وعرفه القرافي بقوله: (ترك ما لا بأس به؛ حذرًا مما به البأس).

وقال الكفوي: (الورع: الاجتناب عن الشبهات سواء كان تحصيلًا أو غير تحصيل) إذ قد يفعل المرء فعلًا تورعًا، وقد يتركه تورعًا أيضًا، ويستعمل بمعنى التقوى، وهو الكفُّ عن المحرمات القطعية).[٦]

١١ ـ الخشوع: (تارة يكون من فعل القلب كالخشية، وتارة من فعل البدن كالسكون – سكون الأعضاء، والجوارح – وقد قيل: لابد من اعتبار الأمرين حتى يكون ذلك من قبيل

---

(١) موسوعة الكنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان – المجلد ١٣ – الصفحة ٢٤٢ – جامع الكتب الإسلامية.

(٢) إحياء علوم الدين ٥٣/٣.

(٣) الجرجاني، التعريفات، باب الياء (اليقين) ١/ ٨٥.

(٤) وهذا قول الجنيد كما أورده الخركوشي في التهذيب صـ١٣٣.

(٥) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٢.

(٦) الفروق للقرافي ٢١٠/٤، والكليات لأبي البقاء (ص ٩٤٤).

الخشوع المعتبر. وبعضهم يقول: هو معنى يقوم في النفس يظهر عنه سكون الأطراف يلائم مقصود العبادة).[١]

١٢ . التسامح:

هو التجاوز والعفو والصفح، وفي القرآن الكريم ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [سورة الحجر:٨٥].

ويقول الجنيد: "كالأرض يطأها البر والفاجر، وكالسحاب الذي يظلل كل شيء وكالمطر يسقي كل شيء".[٢]

صفات الشخصية الصوفية كما يراها الخركوشي:

بعد أن ذكر الإمام الخركوشي رؤيته الإصلاحية في التصوف في عصره، أراد أن يرسم لنا نموذجا للشخصية الصوفية، التي تمثلها هو في حياته تمثلا صادقا، يقول الخركوشي:

من قام فيه بحقه وحقوقه *** وخلا عن الحُدثان والأشباحِ
تتشعشع الأنوارُ من أسراره *** كتشعشُع المصباح في المصباحِ
لم تخطرْ الدنيا له في بالِه *** هانت عليه حظوظُ كل مُباحِ
حركاتُه موسومةٌ بسعادةٍ *** خطواتُه مرسومةٌ بنجاحِ
فكأن حال الفقر جلبابٌ له *** والصبرٌ في البلوى عليه وشاحِ
يا عزُّه في الذِّل يا أحزانه *** تحت التبسُم ليس منه براحِ
فإلى الرشادِ غدوهُ ورواحُه *** وإلى الصلاحِ مساؤه وصباحِ

فالصوفي ـ كما يراه الخركوشي ـ لابد أن يلتزم طريق التصوف التزاما حقيقيا؛ فيقوم به قياما واقعيا، فيكون وفيا في الأداء، سواء كان هذا الأداء يخصه هو في شخصه، أو يخص إخوانه، وعليه أن يتخلى عن حب الشهرة، فلا يسعى لجذب أنظار الخلق للحديث عنه فـ

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٢٥).
(٢) الرسالة القشيري ص ٢٨١.

(يتخلى عن الحدثان)، وكذلك يتخلى عما يلفت النظر إليه من الخيالات الظاهرة والباطنة مما قد يتوهم الصوفي أن فيه قربة إلى الله جل وعلا من الملابس الخلقة أو الخشنة.

فإن فعل ذلك ظهرت عليه أنوار الطاعة الحقيقية لله جل وعلا، وفي ذلك إشارة إلى ترك العبوس والتكبر على الخلق.

والصوفي لا بد له إخراج الحسابات الدنيوية من قلبه ونفسه [لم تخطر الدنيا له في باله] فعليه أن يقطع كل العلاقات القلبية بالدنيا، وأن يكون زهده فيه علامة ودلالة على ذلك، ولا يعنى ذلك اعتزال المجتمعات وما فيها واللجوء إلى الخلوات، والكهوف، وكيف ذلك وقد رأينا الخركوشي نفسه شخصية اجتماعية من الطراز الأول يبنى للمسلمين " مشفي، ومدرسة، ومكتبة" ، ويشرف على إدارة كل ذلك بنفسه، ويوقف أوقافا للإنفاق عيها" فالدنيا عند الخركوشي الصوفي قد خرجت من قلبه ووقعت بين يديه، بل إن الصوفي يكون دائما حذرا من حبائل الدنيا، حتى أنه يترك حظه من المباح فيها؛ خوفا من الاقتراب مما هو محرم.

والصوفي ـ في رؤية الخركوشي الإصلاحية ـ لا يعيش حياته هملا أو همجا أو دروشة؛ وإنما له منهج فكري، وعلمي، وحياتى معلوم الخطوات يلتزم فيه أوامر القرآن، وخطوات محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنام [حركاته موسومة بسعادة *** خطواته مرسومة بنجاحِ]

والصوفي في رؤية الخركوشي: يبدو في مظهره فقيرا ـ أي فقير إلى الله لا إلى الخلق ـ فهو غنى النفس، غنى القلب، سخى اليد، كريم السجايا، عفيف اللفظ.

فإذا وقع به شيء من البلاء توشح بالصبر، حتى أن من حوله لا يشعرون بالبلاء الذي حل به: [فكأن حال الفقر جلباب له *** والصبر في البلوى عليه وشاحِ]

والصوفي يصوره الخركوشي في رؤيته الإصلاحية: عزيز على أعداء الله يعتز بعزته ويستعلى بقوته، وهو ذليل رحيم مع المؤمنين رحيم بهم، وتلك هي صفات المؤمنين المجاهدين في سبيل الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة:٥٤].

فإذا بدا الصوفي لبعض الخلق عزيزا، فإنما يستمد عزته من العزيز الجبار، وإن بدا ذليلا فإنما يستمد ذلته من رحمة الرحمن الرحيم. وفي كل أحواله دائم التبسم والتودد للخلق كما يصفه الخركوشي بقوله:

يا عزُّه في الذُل يا أحزانه *** تحت التبسم ليس منه براحِ

والصوفي قيمة مضافة إلى مجتمعه لأنه ـ في منهاج الخركوشي: يقضى يومه بين الرشاد والصلاح والإصلاح، إن وقته كله طاعة لله سبحانه وتعالى حتى وإن شارك الناس في غدوهم ورواحهم، وشئون حياتهم في كل أوقات حياته لايغيب عنه منهجه، ولا ينفصل هو عن منهجه، وفي ذلك يصف الخركوشي الصوفي بقوله:

فإلى الرشاد غدوه ورواحه *** وإلى الصلاح مساؤه وصباحِ

والصوفي ـ كما يرى الخركوشي في نظرته الإصلاحية ـ له منارات بارزة في منهجه وطريقته المقتبسة من كلمة "صوف" نفسها، التي جعلها شارة له تميزه، فحرف الصاد يوجه الصوفي الصفاء القلبي والنفسي، وحرف الفاء يوجه الصوفي إلى الوفاء بالعهد والوعد مع الرب ومع الخلق، وحرف الفاء يوجه الصوفي إلى القوة، فهو إضافة لمجتمعه بقوته العقلية، والنفسية، والجسدية، والمادية، يقول الخركوشي:

صاد الصفا، فالواو من صدق الوفا، *** فاء الفتوة، فاغتنم يا صاح.

شيوخ الإمام عبد الملك الخركوشي:

عاش الخركوشي جل سنوات القرن الرابع الهجري في نيسابور، وكان لعلمائها مكانة عظيمة، ففي هذا العصر، وفي نيسابور (البلد الجميل، والمصر النبيل الذي لا يعرف له الإسلام عديل، لما قد اتفقت فيه من الخلال والخصال من صحة الماء... وكثرة العلماء...) هكذا وصفها البشاري المتوفي " ٣٨٠هـ".[١]

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري صـ٣١٤

(وإنه من المناقب الكبرى لمدينة نيسابور والتي تحتفي بها دون بلدان العالم الإسلامي، أن أول مدرسة أنشئت في العالم الإسلامي كانت في نيسابور، وكان اسمها المدرسة البيهقية وذلك في القرن الرابع الهجري. لكنها لم تكن ذات مناهج محددة أو معروفة. ومن هذه المدارس أربع مدارس في نيسابور أنشأها السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٦٧ – ٤٢١هـ / ٩٩٧ – ١٠٣٠م)، كما أنشأ بها وبغيرها السلطان مسعود الأول، الذي أعقب السلطان محمود (٤٢١ – ٤٣١هـ / ١٠٣٠–١٠٤٠م) عددًا من المدارس الإسلامية).[١] وقد سبق أن أشرنا أن الخركوشي قد بنى مدرسة أيضا.

ولهذا برز فيها كثير من العلماء كالسلمي «حقائق التفسير» (٤١٢هـ)، الثعلبي «الكشف والبيان» (٤٢٧هـ) والماوردي " ت ٤٥٠هـ في " النكت والعيون "

كما نسمع فيها أسماء لامعة من أمثال: الإمام أبى عبد الله الحاكم النيسابوري " ت ٤٠٥هـ " صاحب المستدرك على الصحيحين" والبيهقي (ت ٤٥٨ هـ" صاحب السنن وغيرهم.

وتتحدث المصادر عن عدد كبير من شيوخ الخركوشي الذين تلقى عنهم التفسير والحديث، والفقه، والتصوف... وغير ذلك.

ومن هؤلاء ممن تلقى عنهم في بلده نيسابور:

١. أبو محمد يحيى بن منصور القاضي.

٢. أبو عمرو بن نجيد.

٣. أبو على الرفاء الهروى.

٤ . أبو أحمد محمد بن محمد بن الحسن النسائي. وأقرانهم.

٥. وتفقه للشافعي على أبى الحسن الماسرجسي.

ومنهم من سمع منهم في رحلته إلى بغداد ودمشق ومن هؤلاء:

١. يحيى بن منصور القاضي.

٢. حامد بن محمد الهروي.

٣. محمد بن الحسن بن إسماعيل السراج.

---

(١)

٤- أبو عمرو بن مطر.

٥- إسماعيل بن نجيد.

٦- أبو أحمد محمد بن محمد بن الحسن]، الشيباني [النيسابوريين].

٧- أبو بكر محمد بن عبد الملك بن جبير النسوي.

٨- وبشر بن أحمد الإسفراييني.

٩- وعلى بن بندار بن الحسن الصوفي.

١٠- أبو إسحاق المزكي.

١١- أبو سهل الصعلوك.(١)

ولعلك تلاحظ اهتمام المصادر بذكر شيوخه في بغداد فذكرت منهم أكثر مما ذكرته في بلده نيسابور، ويرجع ذلك مكانة بغداد العلمية آنذاك فقد كانت مدينة العلم والعلماء، فكأن من نال العلم على يدى شيوخها وعلمائها قد حاز قصب السبق فيما تخصص فيه من علوم.

وقد سمع الخركوشي من علماء آخرين في مكة بلد الله الحرام عندما آتاها حاجا، وأقام بها سنوات مجاورا لبيت الله الحرام، وسمع من علماء مصر أيضا؛ فقد أشارت بعض المصادر إلى زيارته لها ، لكنها لم تحدد وقتا، ولم تتحدث عمن تلقى من علمائها.(٢)

وبهذا يكون الخركوشي قد تلقى التفسير ورواية الحديث والفقه وسائر فروع العلم المتاحة آنذاك في بلده نيسابور، ومن خلال رحلاته العلمية إلى بغداد، ودمشق، والحجاز، ومكة بلد الله الحرام، ومصر.(٣)

---

(١) تاريخ بغداد ت/ بشار ١٨٨/١٢، تبيين كذب المفتري صـ٢٣٣، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ١/ ٤٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٢٢٢/٥، وسير أعلام النبلاء ٥٧/١١

(٢) تبيين كذب المفتري صـ ٢٣٣.

(٣) تاريخ بغداد ت/ بشار ١٨٨/١٢، تبيين كذب المفتري صـ٢٣٣، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ١/ ٤٣٥، والأنساب للسمعاني ١٥١/٥ وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٢٢٢/٥، وسير أعلام النبلاء ٥٧/١١.

وكان الخركوشي صاحب أسانيد يصل بها إلى رسول الله ﷺ، وجدنا ذلك في كتبه رأينا ذلك فيما تم تحقيقه منها كـ "تهذيب الأسرار"، وكتاب " شرف المصطفي" وسنرى ذلك واضحا في كتابه " اللوامع وترتيب المجالس" الذي شرعنا في تحقيقه.

◊ تلاميذه:

وقد تتلمذ على يدى الخركوشي عدد كبير من العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم مكانة علمية في رواية الحديث وسائر علومه، وفي التفسير، وفي التصوف، وفي الفقه، وغيره ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

١. الحاكِم النَّيْسَابُوري (٣٢١ – ٤٠٥ هـ = ٩٣٣ – ١٠١٤ م)

محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطّهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيّع، أبو عبد الله.

وسبقت الإشارة إلى أن الخركوشي كان من شيوخ الحاكم في رواية الحديث على الرغم من أن الحاكم أكبر منه سنا، إلا أن الحاكم روى عنه ونقل لنا صورة قريبة من حياته مما يدل على هذه العلاقة الوطيدة التي جمعت بين الخركوشي وأبى عبد الله الحاكم رضى الله عنهما.

ومن ناحيته نص الحاكم على تتلمذه على يدى الخركوشي في كتابه " تاريخ نيسابور " فقال ، وهو يقدم حصرا لمشايخه الذين تلقى عنهم رواية الحديث : – (عبد الملك بن محمد بن إبراهيم أبو سعيد بن أبي عثمان الواعظ الزاهد بن الزاهد النيسابوري وقد صنف في علوم الشريعة ودلائل النبوة وفي سير العباد والزهاد كتبًا وصارت تلك المصنفات في بلاد المسلمين تاريخًا لنيسابور).[١]

ومن تلاميذه الذين رووا عنه أثناء وجوده في بغداد عام" ٣٩٣هـ"

٢. أبو محمد الخلال:

الإمام الحافظ المجود، محدث العراق، أبو محمد: الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن بن علي، البغدادي الخلال، أخو الحسين. ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

---

(١) راجع تلخيص تاريخ نيسابور صـ٩٤ ترجمة رقم " ١٩٧٨"

قال الخطيب:(كتبنا عنه، وكان ثقة، له معرفة وتنبه، وخرج " المسند " على " الصحيحين "، وجمع أبوابا وتراجم كثيرة، ومات في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة).[١]

٣. الأزجى: عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل بن شكر بن بكران، وشهرته عبد العزيز بن علي الوراق، الكنيه :أبو القاسم ونسبته: البغدادي، الأزجي، ثقة، توفي " ٤٤٤هـ.[٢]

٤. التنوخي: هو (محمد بن الحسن بن عمر التنوخي ت ٣٩٨هـ).[٣]

٥ . البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين.

٦ . أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ.

٧ . أَبُو بَكْرٍ أَحْمد ابْن عَلِيّ بْنِ ثَابت الْخَطِيب البغدادي.

٨. أَبُو الْحَسَنِ عبد الغافر بن إِسْمَاعِيلَ إجازة.[٤]

٩. وَعلي بن مُحَمَّد الحنائي.

١٠ . وَأَبُو عَليّ الْأَهْوَازِي.

١١ . والحافظ أَبُو بكر الْبَيْهَقِيّ.

١٢ . وَأَبُو الْحُسَيْن مُحَمَّد بن الْمُهْتَدي بِاللَّه.

١٣ . وَأحمد بن عَليّ بن خلف الشِّيرَازِيّ وَآخَرُونَ.[٥]

وسنكتفي في ذكر تلاميذه على ذكر أسمائهم فقط دون الترجمة خشية الإطالة.

١٤. وَأَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِيُّ.

١٥ . وَأَبُو صَالِحٍ المُؤَذِّنُ.

١٦ - وَأَبُو بَكْرٍ بنُ خَلَف، وَخَلْق.[١]

---

(١) تاريخ بغداد ج١٧. ص٥٤٩.

(٢)سير أعلام النبلاء ١٨/١٨.

(٣) أطلق نسب التنوخي على كثير من العلماء لكن ما ذكرناه هنا هو ما يتناسب مع الأثر المذكور الذي يدل على تلقيه العلم عن الخركوشي ولم أجد له ذكرا في كتب التراجم.

(٤) من "٥- ٨ " راجع في تبيين كذب المفتري لابن عساكر صـ ٢٣٣.

(٥) من " ٩- ١٣ " نص عليهم السبكي في طبقات الشافعية ٥/ ٢٢٢.

ومن ينظر في شيوخ الخركوشي وتلاميذه يتبين له بجلاء أنه كان الطبقات العليا من العلماء المرموقين المعدودين فيكفيك من شيوخه: " الهروي، والسراج وغيرهم " ويكفيك من تلاميذه " الحاكم، والقشيري " وغيرهم.

◊ مذهبه الفقهي:

كان الخركوشي رحمه الله من أئمة الشافعية في نيسابور، تلقى المذهب الشافعي على يدى أبى الحسن الماسرجسي إمام عصره آنذاك فمن هو أستاذ الخركوشي في الفقه؟

هو: (أبو الحسن محمد بن علي بن سهل بن مصلح، الماسرجسي[٢] الفقيه الشافعي، أحد أئمة الشافعية بخراسان، وأعرفهم بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل، تفقه بخراسان والعراق والحجاز، وصحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وخرج معه إلى مصر ولزمه إلى أن مات ثم رجع إلى بغداد، وكان يخلف علي بن أبي هريرة في مجالسه بعد قيامه عنها، ثم انصرف إلى خراسان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، ودرس بنيسابور وعنه أخذ فقهاؤها، وعليه تفقه القاضي أبو الطيب الطبري. .. وقال الحاكم أبو عبد الله ابن البيع :عقدت له مجلس الإملاء في دار السنة في رجب سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وتوفي عشية الأربعاء، ودفن في عشية الخميس سادس جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وعمره ست وسبعون.[٣]

---

(١) من ١٤- ١٦ نص عليهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٥٦ - ترجمة رقم ١٥٣.

(٢) بفتح الميم وبعد الألف سين مفتوحة مهملة وراء ساكنة ثم جيم مكسورة بعدها سين ثانية، هذه النسبة إلى ماسرجس، وهو اسم لجد أبي علي الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري، كان نصرانيا فأسلم على يد عبد الله بن المبارك، وأبو الحسن الفقيه المذكور ابن بنت أبي علي المذكور، فنسب إليه، ونسبة الكل إلى ماسرجس راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٠٤/٤.

(٣) ترجمته في الوافي ٤: ١١ ٥ واللباب (الماسرجسي) والشذرات ١١٠/٣، وحسن المحاضرة ١٢٦/١.

◊ **مصنفات الخركوشي:**

يقول المترجمون للخركوشى إنه ترك كتبا كثيرة في فروع الشريعة، وأجمع كلمة قيلت في ذلك كانت من ابن عساكر في قوله: (وَقد صنف فِي عُلُوم الشَّرِيعَة، وَدَلَائِل النُّبُوَّة، وَفِي سير الْعباد والزهاد كتبا؛ نسخهَا جمَاعَة من أهل الحَدِيث وسمعوها مِنْهُ، وسارت تِلْكَ المصنفات فِي بِلَاد الْمُسلمين تَارِيخا لنيسابور وعلمائها الماضين مِنْهُم والباقين .

وَكَثِيرًا أَقُول أَن لَا يباهي بأجمع مِنْهُ علما وزهدا وتواضعا وإرشادا إِلَى الله تَعَالَى ذكره وَإِلَى شَرِيعَة نبيه الْمُصْطَفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلى آله وَإِلَى الزاهدين فِي الدُّنْيَا الفانية والتزود مِنْهَا للآخرة الْبَاقِية زَاده الله تَوْفِيقًا وأسعدنَا بأيامه ووفقنَا للشكر لِلَّه تَعَالَى ذكره بمكانه إِنَّه خير معِين وموفق).[١]

وهذا القول من ابن عساكر يحتاج إلى تفصيل لبيان المصنفات العلمية التي تركها الخركوشي وهي كالاتي:

١. قال الذهبي: (لَهُ تَفْسِيْرٌ كَبِيْرٌ، وَكِتَابُ (دلَائِلِ النُّبُوَّة)، وَكِتَاب (الزُّهْد).[٢]

٢ وقال ابن الأثير: (وصنف التصانيف المفيدة فِي عُلُوم الشَّرِيعَة وَدَلَائِل النُّبُوَّة وسير الْعباد والزهاد وَغَيرهَا سَمعهَا النَّاس مِنْهُ ...).[٣]

٣ . وقال ابن العماد الحنبلي: (صنّف كتاب «الزهد» وكتاب «دلائل النبوّة» وغير ذلك).[٤]

٤ . وقال الزركلي: (من كتبه " البشارة والنذارة – خ " في تفسير الأحلام، و" سير العباد والزهاد " و" دلائل النبوة " و" شرف المصطفي " ثمانية أجزاء، وغيرها في علوم الشريعة.)[٥]

---

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري» (ص٢٣٥، ٢٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٥٦ ترجمة رقم " ١٥٣" ط الرسالة.

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٤٣٥.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/ ٤٧.

(٥) الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٣.

٥. وقال الكتاني في رسالته: (وكتاب شرف المصطفي لأبي سعيد بكسر العين عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الواعظ المتوفي: بنيسابور سنة ست وأربعمائة وهو في ثمان مجلدات ولمؤلفه في علوم الشريعة كتب...).[١]

٦ . وقال عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (صنّف كتاب «الزهد» وكتاب «دلائل النبوّة» وغير ذلك... من آثاره: البشارة والنذارة، تهذيب الاسرار في طبقات الاخيار، كتاب الزهد، دلائل النبوة، وتفسير كبير).[٢]

٧ . وفي "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" ذكر عمر رضا كحالة »اللوامع لأبي سعيد: عبد الملك بن عثمان الخركوشي، الواعظ. المتوفي: سنة ٤٠٦، ست وأربعمائة.[٣]

٨ . وفي كتابه:«هدية العارفين : يقول إسماعيل البغدادي: الخركوشي – عبد الملك بن ابى عُثْمَان مُحَمَّد بن ابراهيم النَّيْسَابُورِي أَبُو سعيد الْوَاعِظ الشَّافِعِي الْمَعْرُوف بالخركوشي (خركوش سكَّة بنيسابور) توفي بهَا سنة ٤٠٧ سبع واربعمائة.

من تصانيفه: [الْبشَارَة والنذارة ،و تَهْذِيب الاسرار فِي طَبَقَات الاخيار، وسير العباد والزهاد، شرف الْمُصْطَفي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي ثَمَانِيَة مجلدات، شرف النُّبُوَّة، و شَعَائِر الصَّالِحين، ولوامع ، وغير ذلك].[٤]

وبعد هذا الاستعراض لكتب الخركوشي وجب علينا أن نبين ما وصل إلينا منها في عصرنا هذا، وما هو مطبوع منها وما هو مخطوط وما هو مفقود:

وأحسب أن ما ورد في كتاب (هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي [ت ١٣٩٩ هـ] يعد أشمل من تحدث عن مصنفات الخركوشي، ويمكننا تصنيف هذه الكتب إلى ما يأتي:

---

(١) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة صـ ١٠٩.

(٢) معجم المؤلفين ٦/ ١٨٨.

(٣) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ١٥٦٩/٢.

(٤) هدية العارفين ١/ ٦٢٥.

أولا: كتب الخركوشي المطبوعة:

١. . البشارة والنذارة في تعبير الرؤيا وهو في تفسير الأحلام، بتحقيق بلال الأرفة لي مركز أبو ظبى للغة العربية ٢٠٢٣م.

٢. شرف المصطفي وقد طبع بتحقيق السيد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي وغير اسم الكتاب إلى: (مناحل الشفا ومناهل الصفا) في ستة أجزاء نشر دار البشائر ط ١ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

والذي سماه غير واحد ممن ترجموا للخركوشي بـ "دلائل النبوة أو شرف النبوة " وقد قام الأستاذ/ حمدي عبد المجيد باختصار هذا الكتاب في جزأين فقط، وطبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط ١ ٢٠١٥م.

٣ . تهذيب الأسرار في مقامات الأخيار أو في طبقات الأخيار وهو أول ما طبع للخركوشي بتحقيق بسام محمد بارود / نشره المجمع الثقافي ١٩٩٩م الإمارات

وظهرت له مؤخرا طبعة أخرى بتحقيق د / عرفان كندوز ـ دار نشر جامعة ابن خلدون، ٢٠٢٣م وهو كتاب في أصول التصوف، وربما يكون هو كتاب سير العباد والزهاد.

٤ . منتخب الكلام في تفسير الأحلام، وهو المنسوب لابن سيرين خطأ وقد نص على نسبته للخركوشي أكثر من باحث، منهم: الأستاذ إبراهيم صالح في تحقيقه لكتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة.(١)

ثانيا: تحت الطبع من كتب الخركوشي:

١. اللوامع وترتيب المجالس: وقد يكون هو كتاب التفسير الكبير الذي ذكره الذهبي، وذلك اعتمادا على مادته العلمية التي تقوم على تفسير آيات مختارة كما سنرى، وهذا الكتاب ورد ذكره في خزانة التراث، تحت رقم: ١١٧٥٩٢ الفن: وعظ وإرشاد، مكتبة الفاتيكان . رقم الحفظ ١٦٤٢ [نسخة في العالم] وقد بدأنا منذ فترة في تحقيقه ولله الحمد ، ونسأل الله العون في إتمامه وإخراجه على الوجه الذي يرضيه.

---

(١) تعبير الرؤيا لابن قتيبة، ص: ١٠، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر–دمشق/ ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى.

١. اليسر بعد العسر.[١]

٢. مختصر تهذيب الأسرار.

٣. مختصر شرف المصطفي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: المفقود من كتبه.

١. الفتوة، أشار إليه المؤلف في كتابه شرف المصطفي.

٢. كتاب في التفسير أشار إليه الذهبى آنفا.

٣. كتاب شعائر الصالحين.

(١) في المكتبة الأزهرية (٣/٧٥٩).

المبحث الثاني: المجالس التفسيرية

مفهوم المجالس التفسيرية:

سبق أن أشرنا أن الخركوشي يرحمه الله نص في مقدمة كتابه اللوامع على أنه سيضع كتابا في التذكير، وبين أهمية التذكير من خلال الآيات القرآنية الدالة على ذلك؛ وأنه سمى كتابه هذا: "اللوامع وترتيب المجالس" ومن هنا وجب علينا أن نقف وقفة سريعة أمام المجالس العلمية بصفة عامة، ومجالس الخركوشي بصورة خاصة.

وردت كلمة المجالس في القرآن الكريم في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [سورة المجادلة:١١].

اختلف العلماء في المجالس المقصودة في الآية: هل هو مجلس رسول الله ﷺ خاصة؟ أم مجلس القتال ـ يعنى موضع كل واحد منهم في صفوف القتال؟ فجمع الطبري بين الرأيين قائلا:(والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ومجالس القتال).[١]

إذا فالمجالس العلمية عرفها المسلمون منذ عهد رسول الله ﷺ، حتى أن أحدهم كان يضن بمجلسه على أخيه فلا يقوم منه حرصا على قربه من المصطفي ﷺ؛ مما كان سببا في نزول آداب المجلس، ومنها التوسع وإفساح المسلمين لبعضهم في مجالس العلم كما أشارت هذه الآية.

---

(١) جامع البيان ٢٣/ ٢٤٥.

وتنوعت المجالس حسبما كان يلقى فيها من مادة علمية: فمنها مجالس التذكير، ومنها مجالس التفسير، ومنها مجالس القتال ، وهو الذي يتم التشاور فيه بشأن خطط القتال، ومنها مجالس الشورى وهي التي يتشاور فيها المسلمون في شئونهم العامة، ومنها غير ذلك.

ومجالس التذكير تختلط كثيرا بمجالس التفسير فأيهما غلب على الآخر نسبت إليه، ففي السنة النبوية كثير من الأحاديث الدالة على مجالس التذكير، والتفسير أيضا،

وأحسب أن مجالس التفسير بدأ ظهورها [أي صارت مجالس مخصصة للتفسير] في عهد الصحابة رضى الله عنهم وتحديدا على يد عبد الله بن عباس رضى الله عنه حبر الأمة في التفسير، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له: «اللهمّ فقّهه في الدّين وعلّمه التأويل»[١] والتأويل هنا بمعنى التفسير.

ولعل في الأخبار الصحيحة التي نقلت لنا جوانب عدة من تفسيره رضى الله عنه دلالة واضحة على نشأة المجالس التفسيرية على يديه.

يقول عبيد الله بن عتبة واصفا مجالس عبد الله بن عباس:(.. ولقد كان يجلس يوما للفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لأيام العرب وأخبارهم، وما رأيت عالما جلس إليه إلا خضع له ولا سائلا سأله إلا وجد عنده علما).[٢]

ولم تكن المجالس التذكِيرية بمنأى عن هذه النشأة أيضا فمن رحم التفسير كان التذكِير، وفي طوايا التذكِير ورد التفسير، فهما كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، أو وهما وجهان لعملة واحدة هكذا كانت البدايات. فعلماء الصحابة رضى الله عنهم جميعا كـ: الخلفاء الراشدين الأربعة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وأُبّي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين، وأمهات المؤمنين، كأمنا عائشة رضي عنها ، كانوا جميعا مذكرين ومفسرين في آن واحد.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم رقم ٧٥ و ١٤٣ و ٣٥٤٦ و ٦٨٤٢. وأخرجه الإمام مسلم في فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٧.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: الجزء ٢ القسم ٢ صفحة ١٢٠.

المجالس بين التفسير والتذكير:

وقبل أن نتحدث عن مجالس التفسير، ومجالس التذكير؛ فلابد أن نقف أمام المعنى اللغوي والشرعي لكل منهما:

فلفظ "المجالس" مأخوذ من جلس، ومعناه: الجلس: وأصله الغليظ من الأرض ثم جعل الجلوس لكل قعود، والمجلس موضع يقعد فيه الإنسان. والجَلسة بالفتح، للمرة، وبالكسر للنوع والحال التي يكون عليها كجِلسة الاستراحة والتشهد وجِلسة الفصل بين السجدتين لأنها نوع من أنواع الجلوس ... والجلوس غير القعود، فالجلوس انتقال من أسفل إلى علو، والقعود انتقال من علو إلى أسفل يقال لمن هو نائم أو ساجد اجلس، ولمن هو قائم اقعد. وقد يستعمل جلس بمعنى قعد يقال: جلس متربعا وقعد متربعا ... ويقال: جلس متكئا ولا يقال قعد متكئا بمعنى الاعتماد على أحد جانبيه كذا قرره قوم، وقال الفارابي: كجمع الجلوس نقيض القيام فهو أعم من القعود، وقد يستعملان بمعنى الكون والجلوس ومنه جلس متربعا وقعد متربعا، والجليس من يجالسك، فعيل بمعنى فاعل).[١]

فالتفسير لغة: (فَسِرَ) الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ. مِنْ ذَلِكَ الْفَسْرُ، يُقَالُ: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ. وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ).[٢]

التفسير: شرعا توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهره ...والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها. وعرف بعضهم التفسير بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز... وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر).[٣]

---

(١) التوقيف على التعاريف للمناوي صـ ١٢٨ مختصرا.

(٢) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٤/٥٠٤.

(٣) التوقيف على مهام التعاريف.

والتذكير لغة: (ذَكَرَ) الذَّالُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ: أَصْلَانِ، الأصل الثاني منهما: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافُ نَسِيتُهُ. ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ. وَيَقُولُونَ: اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ لَا تَنْسَهُ. والذكر العلاء وَالشَّرَفُ. وَهُوَ قِيَاسُ الْأَصْلِ).[١]

التذكير: شرعا محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان. والتذكرة: ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والإمارة، والتذكير الوعظ).[٢]

وإذا كانت هذه هي المعاني اللغوية والشرعية التي أقرها العلماء لمجالس التفسير ومجالس التذكير فإننا في مجال الممارسة والتصنيف نلاحظ أن هناك ثمة فروق علمية دقيقة بين مجالس التفسير ومجالس التذكير، وأحسب أن أول من أشار إلى ذلك هو الإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) عندما حاول أن يفرق بين القصاص، والمذكرين، والوعاظ؛ فقال:

(أَقُول – وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق –: إِن لهَذَا الْفَنّ ثَلَاثَة أَسمَاء: قصَص، وتذكير، وَوعظ. فَيُقَال: قاص، ومذكر، وواعظ.

فالقاص هُوَ الَّذِي يتبع الْقِصَّة الْمَاضِيَة بالحكاية عَنْهَا وَالشَّرْح لَهَا وَذَلِكَ الْقَصَص. وَهَذَا فِي الْغَالِب عبارَة عَمَّن يروي أَخْبَار الماضين. وَهَذَا لَا يذم لنَفسِهِ، لِأَن فِي إِيرَاد أَخْبَار السالفين عِبْرَة لمعتبر، وعظة لمزدجر...

وَأما التَّذْكِير فَهُوَ تَعْرِيف الْخلق نعم الله – عز وَجل – عَلَيْهِم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مُخَالفَته

وَأما الْوَعْظ، فَهُوَ تخويف يرق لَهُ الْقلب وَهَذَانِ محمودان. ـ يقصد التذكير والوعظ ـ وَقد صَار كثير من النَّاس يطلقون على الْوَاعِظ اسْم الْقَاص. وعَلى الْقَاص اسْم الْمُذكر، وَالتَّحْقِيق مَا ذكرنَا).[٣]

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٢/ ٣٥٩.

(٢) التوقيف على مهام التعاريف للمناوي صـ ٩٤.

(٣) القصاص والمذكرين صـ ١٥٩.

إن كلام ابن الجوزي هنا كان ردا على سؤال وجه إليه عن حكم الجلوس إلى القصاص تحديدا؛ وهو هنا يكشف واقعا قائما على الممارسة، فقد كان ابن الجوزي رحمه الله رأسا يشار إليه بالبنان في التذكير والوعظ، وأما من ناحية التصنيف أو التأليف فإن لابن الجوزي كتابا سماه (التذكرة في الوعظ) فجمع فيه بين التذكير والوعظ، وله كتاب في التفسير سماه (زاد المسير في علم التفسير).(١)

وكان رحمه الله يعي تماما الفرق بين التذكير والتفسير في المفهوم والمنهج، ولذلك فقد وجدناه يعرف التفسير في مقدمة تفسيره بقوله: (واختلف العلماء: هل التّفسير والتّأويل بمعنى، أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسّرين المتقدّمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التّجلّي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: آل الشيء إلى كذا، أي: صار إليه).(٢)

ومن الواضح أن علم التفسير له مفهوم مختلف عن علم التذكير، فيما ذكره ابن الجوزي.

بل رأينا أن هناك فروقا دقيقة يمكن رصدها بين مجالس التفسير ومجالس التذكير، وذلك فيما يأتي:

١ . ففي مجالس التفسير يلتزم المفسر فيها بتفسير القرآن الكريم متتبعا لها حسب ترتيبها في سورها، وقد يكون تفسير مطولا، أو وسيطا، أو وجيزا، وربما لا يلتزم بهذه الصورة المعلومة لكتب التفسير، وإنما يقف أمام آيات مفردة كآية :(البر . الدَّين . الكرسي . الكلالة . السيف . النور في سورة النور ... إلخ).

أو يفسر سورة من سور القرآن الكريم، فقد حظيت بعض السور باهتمام خاص من المفسرين كـ (سورة النور . الحجرات . الأحزاب ...إلخ) أو كانت بعض أجزاء من القرآن الكريم.

والمفسر في كل أحواله لا يخرج عن طرق التفسير المعهودة، القائمة على تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة النبوية المطهرة، أو بأقوال الصحابة، أو التابعين رضى الله عنهم، مع بيان

---

(١) مطبوعان عددا كثيرا من الطبعات ومتداولان.

(٢) مقدمة زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.

للمعاني اللغوية لما هو غريب من كلمات الآيات، وذكر أسباب النزول، وقصة الآية إن احتاج إلى ذلك.

٢ . أما التذكير فإن المذكِّر ـ أي العالم القائم بالتذكير . لا يلتزم فيها بما يلتزم به المفسر فقد يسوق تذكرته من خلال آية قرآنية أو حديث نبوي شريف، أو قصة تحمل عبرة أو سؤال يستفتح به مجلسه، وهنا تختلف طريقة التناول للمادة العلمية . من قرآن كريم، أو سنة نبوية، أو قصة مشوقة ـ في بعض جوانبها.

٣ . فالهدف عند المذكِّر يختلف عن الهدف عند المفسر، وإن اتفقا في المادة العلمية الملقاة في مجلس كل منهما فالمذكِّر يجنح دائما إلى مخاطبة العواطف الإنسانية والتأكيد على السنن الأخلاقية، وإن ذكر مسألة عقليه قدمها في أبسط صورها؛ إنه يخاطب العامة من المسلمين؛ ليصل من خطابه إلى إثارة العواطف والتزام الأخلاق الدينية كالإحسان، والعفة، والصدق، والشجاعة، والتواضع ...إلخ

٤. وأما المفسر في مجالسه التفسيرية نجده يلتزم فيه بآداب وأحكام وعلوم التفسير، فالهدف عنده بيان كتاب الله أولا وأخيرا، ولا يجعل المتلقي أولى اهتمامه كالمذكر؛ ولذلك فإنه يسير في مجلسه التفسيري بما يناسب نص الآية القرآنية، فإن وهبه الله تبسيطا للمعاني، وجمعا بينها وبين واقع المتلقي، واستنباطا للأحكام وبسطها كان تفسيره للعامة والخاصة، وإلا كان تفسيره للخاصة فقط. انظر إلى تفسير ابن كثير وتفسير القشيري قديما: فالأول للعامة والخاصة، وأما الثاني فللخاصة فقط.

وانظر إلى تفسير ابن عاشور، وتفسير الشعراوي حديثا: فالأول للخاصة فقط والثاني للعامة والخاصة!

٥. ولغة الخطاب وأسلوبه عند المذكر في مجالسه التذكيرية ليس فيها سوى مستوى واحد فقط، وهو خطاب العامة وإن تأثر به بعض الخاصة؛ وأما المفسر في مجلسه التفسيري فلا

يجوز أن ينزل بخطابه اللغوي عن مستوى البلاغة القرآنية إلا على سبيل التبسيط والتوضيح، فلا يصل إلى حد الركاكة أو مرذول الكلام.

٥. ومن هنا فإن منهج المفسر يختلف عن منهج المذكر، فلا مانع أن نجد في مجالس المذكرين كثيرا من عجائب القصص، والروايات الصحيحة والضعيفة، بل وغير المعقولة أحيانا، والاستطرادات، والتكرار، بل وربما الخروج أحيانا عن موضوع المجلس المعقود للتذكير.

٦. فهل يعنى ما سبق أن المذكر هو الخطيب الواعظ؟ إن المذكر في موضوعنا هنا له مجلس يقعد فيه ويسمعه الناس، وقد يكتبون ما يلقيه عليهم وربما يأمرهم هو بذلك، وربما يخرج عن حدود موضوعه بطرفة أو مزحة أو غير ذلك كما أشرنا آنفا، وأما الخطيب فلابد أن يلقى خطبته واقفا، و أن تكون ذات موضوع محدد سلفا، و أن يتبع فيها أركان الخطبة، وأن يؤديها بأداء معين يعرفه أربابها حتى تؤتى ثمارها، وبعد كل ذلك فخطبته قد تكون دينية كخطبة الجمعة والعيدين، وغيرهما، وقد تكون سياسية فلا يستشهد فيها لا بآية قرآنية ولا بحديث نبوي.

٧ . وإضافة إلى ما سبق فقد يكتب المفسر تفسيره في داره أو مكتبته، ثم يملى ما كتبه على طلابه وهذا ما كان يفعله المفسرون قديما، وأما حديثا فقد ينشره في وسائل النشر الحديثة. وأما المذكر فغالبا ما يكون تذكيره في جمع من الناس في مسجد أو غيره، وفي أحيان قليلة يكتب المذكر تذكرته في كتاب منفصل، كما فعل ابن الجوزي " ت ٥٩٧هـ " في مجالسه التذكيرية، ككتاب: "التذكرة في الوعظ"،" والتبصرة " فقد قسم ابن الجوزي كل منهما إلى مجالس، وصل بها إلى مائة مجلس في كل منهما.[١]

وكما فعل القرطبي في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) فقد بنى أبوابه على الأحاديث النبوية فجعل لكل باب حديثا هو الأصل الذي يدور عليه محتوى الباب.[٢]

---

(١) راجع التذكرة في الوعظ لابن الجوزي . ت أحمد عبد الوهاب فتيح . دار المعرفة . بيروت٢٠٠٦م، والتبصرة له أيضا راجع طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٢) تحقيق الصادق محمد إبراهيم مكتبة المنهاج الرياض ١٤٢٥هـ.

◈ **لوامع الخركوشي بين علمي التذكير والتفسير:**

وبعد هذا الحديث العام عن المجالس بين المفسرين والمذكرين؛ فسنحاول أن نخصص الحديث شيئا ما عن مجالس الخركوشي، إذ إنه لم يصف مجالسه بأنها مجالس في التفسير، أو التذكير، وإنما جمع بينهما في مقدمة كتابه؛ فسماه: **(اللوامع وترتيب المجالس)**

وهذه التسمية تكشف عن عبقرية الاختيار في تسمية هذا الكتاب، فإنه لم يسمه مجالس تفسيرية، وإنما تخيل أن آيات القرآن الكريم التي سيبنى عليها مجالسه هي نجوم لامعة في سماء صافية، وأن كل نجم من هذه النجوم يمثل مجلسا من مجالسه العلمية، والتي يقدمها في كتابه هذا في صورة مرتبة، ويبدو من قراءة مقدمة الكتاب وفهارسه التي جاءت في مقدمته أنه سار فيه حسب ترتيب السور القرآنية، فاختار آيات من سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم النساء، وهكذا.

وهذا يقتضى منا الوقوف أمام المقدمة وما تضمنته من فهارس وقفة متأنية شيئا ما:

مقدمة كتاب اللوامع وترتيب المجالس: دراسة تحليلية

أولا: صفحة الغلاف.

كتاب اللوامع تأليف الأستاذ الزاهد أبى سعيد عبد الملك بن عثمان الواعظ، الملقب بخركوس، المقدسي رحمه الله تعالى، ونفع به آمين، الحمد لله وحده.(١)

---

(١) هكذا ورد على غلاف كتاب اللوامع وهذا العنوان لنا عليه بعض الملاحظات:

أولا: سبق أن تحدثنا في الدراسة في التثبت من اسم الخركوشي أن اسمه " أبو سعد " ـ دون ياء ـ وأن هذا الخلط لم يرد إلا عند الكتاني في رسالته المستطرفة راجع صـ من البحث.

ثانيا: لم أجد في المصادر من سمى أبا سعد الخركوشي ـ بالسين ـ بدلا من الشين في " الخركوشي " وإنما سبق أن ذكرنا قول ياقوت الحموي إن أهل نيسابور ينطقونها " بالكاف " بدلا من " الجيم " فكأن أصلها عنده " خرجوش " بالجيم راجع الدراسة صـ ٥.

ثالثا: إضافة نسبة جديدة في العنوان وهي" المقدسي" إذ لم أعثر على هذه النسبة فيما تحت يدى من مصادر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيا: فهرس الكتاب

استغرق هذا الفهرس ثلاث لوحات ونصف الرابعة من لوحات المخطوط وبدأ بقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود:٨٨]. ترجمة ما في المجلد الأول من المجالس.(١) اللهم انفعنا بها.

فصل ١ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]

فصل ٢ في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة آل عمران:١٨].

فصل ٣ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

فصل ٤ في سورة الإخلاص: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص:١].

فصل ٥ في قوله تعالى: ﴿طه﴾ ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [سورة طه١ :٢].

فصل ٦ في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [سورة طه:٥].

فصل ٧ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة النور:٣٥].

وهذه النسبة " المقدسي " موجودة على الغلاف فقط إذ لم يجر لها ذكر في سائر صفحات الكتاب، ولم يكن الخركوشي مقدسيا، فنسبه معروف كما سبق أن تناولناه من خلال المصادر التي ذكرته في المبحث السابق، وإن ما أرجحه من ذكر كلمة " المقدسي " في صفحة الغلاف أن هذه النسخة ربما تكون من رواية المقديسى، ويرجح ذلك ما قاله السمعاني في ترجمته للخركوشى: (وذكره أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فقال: أبو سعد الخرجوشى، ويقال بالكاف بالفارسية، منسوب إلى قرية بخراسان) الأنساب للسمعاني ٥/ ٨٥،٨٦. فهذه العبارة من السمعاني لا تعني سوى معرفة أبى الفضل المقدسي للخركوشى وذكره في بعض كتبه

رابعا: وعلى صفحة الغلاف تمليكان وثالثة مشطوبة وتحتها تاريخ " ١٣٥٤" كما يوجد في أعلاها يسارا عبارة غير واضحة وفي أسفل الصفحة يسارا رقم "١".

(١) ملاحظة: من المجالس وليس من اللوامع، وهل يوجد مجلد ثان؟

فصل ٨ في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة فصلت:٥٣].

فصل٩ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الروم:١١].

فصل ١٠ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

فصل حادي عشر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [سورة الحجر:٢٧].

فصل ثاني عشر في قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:٣٠].

فصل ثالث عشر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٢].

فصل رابع عشر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأحزاب:٧٢].

فصل خامس عشر في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [سورة طه:١٢١].

فصل سادس عشر في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة:٣٨].

فصل سابع عشر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [سورة آل عمران:٩٦].

فصل ثامن عشر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [سورة المؤمنون:١٢].

فصل تاسع عشر في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

فصل عشرين في ذكر صفات الأنبياء وأعمارهم والابتداء منه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [سورة آل عمران:٣٣].

فصل حادي وعشرين في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠].

فصل ثانى وعشرين: في أسماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.(١)

فصل ثالث وعشرين: في الفرق بين الحبيب والخليل.(٢)

فصل رابع وعشرين: في فضائل الصحابة رضى الله عنهم.(٣)

فصل خامس وعشرين: في فضائل أبى بكر الصديق ﷺ.

فصل سادس وعشرين: في فضائل عمر بن الخطاب ﷺ.

فصل سابع وعشرين: في فضائل عثمان بن عفان ﷺ .

فصل ثامن وعشرين: في فضائل على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

فصل تاسع وعشرين: في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

فصل الثلاثون: في فضائل الحسن والحسين رضى الله عنهما.

فصل الحادي والثلاثون: في نزول القرآن، قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢].

فصل الثاني والثلاثون: في فضائل القرآن.

فصل الثالث والثلاثون: في حفظ حدود القرآن.

---

(١) في لوحة ٨٧ ذكر مجلسا في أسماء رسول الله ﷺ ولم يذكره في الفهرس ولم يرقمه وفي ذكره لأسمائه ﷺ، وصل بها إلى أربعين اسما استشهد على كل اسم بآية قرآنية.

(٢) هذا الفصل ورد في لوحة ٨٩ في الترقيم السفلى ولم يذكر رقما للمجلس، بل لم يذكر كلمة مجلس.

(٣) في لوحة ٩٨ ترقيم سفلى وفيها مجلس في فضائل الصحابة ولم يذكر رقم المجلس.

فصل الرابع والثلاثون: في معنى أبي جاد.

فصل الخامس والثلاثون: في معاني الحروف المقطعة.

فصل السادس والثلاثون: في فضل العلم، قوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [سورة المجادلة:١١].

فصل السابع والثلاثون: في حرفة العالم، تحقيق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر:٢٨].

فصل الثامن والثلاثون: في آداب العلماء، قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [سورة الزمر:٩].

فصل التاسع والثلاثون: في ذكر العالم [الراغب]، قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾ [سورة البقرة:٤٤].

فصل الأربعون: في فضل المتعلم وآدابه.

فصل الحادي والأربعون: في فضل مجالس الذكر، قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات:٥٥].

فصل الثاني والأربعون: في فضل المساجد.

فصل الثالث والأربعون: في معرفة النفس ومخالفتها، ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ [سورة يوسف:٥٣] الآية

فصل الرابع والأربعون: في صفات القلوب، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾ [سورة الشعراء:٨٨].

فصل الخامس والأربعون: في الفرق بين الإلهام والوسوسة.

فصل السادس والأربعون: في ذكر العقل وفضله.

فصل السابع والأربعون: في ذكر التقوى، قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [سورة مريم:٨٥].

فصل الثامن والأربعون: في أكل الحلال، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [سورة المؤمنون:٥١].

فصل التاسع والأربعون: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا﴾ [سورة آل عمران:١٩١].

فصل الخمسون في المحبة، قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:٣١].(١)

فصل الحادي والخمسون: ١٩٤ في ذكر الخوف من الله: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [سورة الرحمن:٤٦].

فصل الثاني والخمسون: ١٩٨ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [سورة المائدة:٨٣].

فصل الثالث والخمسون: ٢٠٠ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [سورة فاطر:٣٤].

فصل الرابع والخمسون ٢٠٤ في الرضا بقضاء الله، قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [سورة الطور:٤٨].

فصل الخامس والخمسون ٢٠٧ في آفة العجب في: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ [سورة التوبة:٢٥].(٢)

---

(١) لوحة ١٨٨فوق كلمة فصل شطب غير مقروء، ولعل الناسخ هم بكتابة التاسع لكنه أعرض عن ذلك فشطبها.

(٢) هذه الأرقام من ١٩٤ ـ ٢٠٧ لا وجود لها في صفحات المخطوط وستظهر مرة أخرى في هذا الفهرس في الفصل السابع والستين.

فصل السادس والخمسون في الإخلاص، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة الزمر:١١].

فصل السابع والخمسون في التوكل، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣].

فصل الثامن والخمسون في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود:٦].

فصل التاسع والخمسون في الحرص، قوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ [سورة النحل:٣٧].

فصل الستون: في السعادة والشقاوة.

فصل الحادي والستون في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النور:٣١].

فصل الثاني والستون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الشورى:٢٥].

فصل الثالث والستون في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [سورة التحريم:٨].

فصل الرابع والستون في قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [سورة الزمر:٥٤].

فصل الخامس والستون في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [سورة الشورى:١٩].

فصل السادس والستون في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [سورة المنافقون:٨].

فصل السابع والستون ٢٤٨ في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان:٢٠].

فصل الثامن والستون ٢٥٢ في ذكر معانى أصوات الطيور.

فصل التاسع والستون ٢٥٩ في صفات المؤمنين وعلاماتهم.

فصل السبعون في صفات الكافرين، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ﴾ [سورة محمد:١٢].

فصل الحادي والسبعون في قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة الرعد:٣٩].

فصل الثاني والسبعون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [سورة فاطر:٣٢].

فصل الثالث والسبعون في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم:٧١].

فصل الرابع والسبعون في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥].

فصل الخامس والسبعون في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [سورة الروم:٤١].

فصل السادس والسبعون في قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء:١٢٣].

فصل السابع والسبعون في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥].

فصل الثامن والسبعون في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [سورة التين١ :٢].

فصل التاسع والسبعون في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ﴾ [سورة البقرة:١٥٥].

فصل الثمانون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٥٦].

فصل الحادي والثمانون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [سورة الرعد:١١].

فصل الثاني والثمانون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [سورة فصلت:٣٠].

فصل الثالث والثمانون في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ [سورة الزخرف:٦٧].

فصل الرابع والثمانون في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر:١٠].

فصل الخامس والثمانون في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [سورة يونس:٢٥].

فصل السادس والثمانون في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦].

فصل السابع والثمانون في الاستسقاء، قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٦٠].

فصل الثامن والثمانون في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الروم:٥٠].

فصل التاسع والثمانون في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [سورة النساء:٣١].

فصل التسعون: في ذكر الكبائر أيضا.

فصل الحادي والتسعون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [سورة النساء:٩٣].

فصل الثاني والتسعون في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة إبراهيم:٤٢].

فصل الثالث والتسعون في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [سورة النساء:٢٩].

فصل الرابع والتسعون في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ [سورة المائدة:٩٠].

فصل الخامس والتسعون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [سورة النور:٢٣].

فصل السادس والتسعون في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [سورة الإسراء:٣٢].

فصل السابع والتسعون في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [سورة الحجرات:١٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فصل الثامن والتسعون في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [سورة البقرة:٢٧٨].

فصل التاسع والتسعون في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٖ﴾ [سورة القلم:١٠].

فصل المئة: في الاحتكار.

فصل [أحد] في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [سورة النحل:٢٣].

فصل [اثنين] في ذكر الحسد وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة البقرة:١٠٩].

فصل [ثلاثة] في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [سورة لقمان:٦].

فصل [أربعة] في قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].

فصل[خمسة]: في المعراج.

وإلى هنا انتهي فهرس كتاب " اللوامع وترتيب المجالس" وقد ذكره المؤلف أو الناسخ في مقدمة الكتاب، والأرجح عندي أن ذلك من صنع الناسخ؛ لأنه ذكر مقدمة المؤلف " الخركوشي بعد ذلك.

كما أنني قد سجلت بعض الملاحظات الشكلية على هذا الفهرس من ناحية عدم التطابق بين ما ورد فيه، وما هو موجود في صفحات المخطوط، كما أن النظرة العامة فيه تفيد عدم الترتيب الموضوعي، فمعظم المجالس قد بناها الخركوشي على آيات قرآنية كما سبق أن ذكرنا؛ إلا أنه تخللها مجالس عن النبي ﷺ، وأسمائه، وفضائله وفضائل أصحابه رضى الله عنهم أجمعين، كما مجلسا واحدا فقهيا عن الاحتكار.

وفي بعض المواضع وجدنا تقديما لبعض المجالس وتأخيرا للبعض الأخر فبعد المجلس الرابع وجدنا المجلس التاسع! ثم بعد ذلك وجدنا المجلس الخامس مما يدل على أن هناك عدم تطابق بين ما هو مكتوب في الفهرس وما هو في صفحات المخطوط بالفعل، إضافة إلى الاختلاط في المجالس من حيث ترتيبها.

كما لاحظت أن المجلس الأخير " المعراج " قد استغرق إحدى عشرة لوحة، وهو كمٌّ ضخم إذا قيس ببعض المجالس التي تستغرق لوحتين أو ثلاث.

ثالثا: مقدمة المؤلف.

بدأت هذه المقدمة بالتسمية مرة أخرى، مما يوحى بأن الفهارس من صنع الناسخ وليست من صنع المؤلف كما سبق أن ذكرنا.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

الحمد لله الأول في جبروت عزته، الآخِر في تسرمد جلال هيبته، الذي دنا في علوه، وعلا في دنوه، وقرب في بعده، وبعد في قربه، وإليه مقاليد الأشياء ومفاتيحها، ومنه موارد الأخيار ومصادرها، وله ملك السموات والأرض، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام:٥٩].

بان من الأشياء، وبانت الأشياء منه؛ فليس له صفة تنال، ولاحد فيضرب له فيه الأمثال، كل دون صفاته تحير اللغات، وضل فيما هنالك تصاريف الصفات، فتبارك الله الذي لا تحويه الضمائر، ولا يعزب عنه السرائر، وضع السماء على غير أركان، وبناها بقدرته أعجب بنيان وتعالى الذي ليس بوالد ولا مولود، ولا ذي حد محدود، وله الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، سبحانه ـ كما وصف نفسه ـ لا يحويه مكان، ولا يشتمل عليه زمان، تجلى لأبصار قلوب عباده بحقائق بهائه، وتعرَّف إليهم بدلائله وأعلامه، هو ذو العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، المنفرد

بالنعماء ، المتوحد بالآلاء ، فاطر الأرض والسماء، خالق الظلام والضياء، أحاط بالأشياء حفظه، وسخرها أمره، وأتقنها صنعه؛ فليس له مثل ولا شريك، ولا ينازعه في ملكه مليك، قضاؤه محكم، وصنعه متقن، وأمره مبرم، ومشيئته نافذة، وقضيته عادلة، ونعمته على خلقه سابغة، وحجته على بريته بالغة.

أحمده، وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه، وخيرته من خلقه، سيد ولد آدم، وأفضل ذرية نوح، وخير نسل إبراهيم، وأطهر بنى إسماعيل، وأنجب ابن معدّ، وأعلى فروع مُضَر، وأشرف ولد قصىّ، وأكرم آل نزار، وأعز بنى هاشم، وأنجد بنى عبد المطلب، ذو الولادة الطاهرة، والفضيلة الظاهرة، الكريم الأصل والنسب؛ فهو بين الجميع كالجوهر المنظوم في عقد الذهب، حسن الخلق والخلق والمذهب، زكى المحدث والمولد والمنصب، جاء بالصدق، وصدع بالحق، وكشف الغمة، ونصح الأمة، فصلوات الله عليه، وعلى آله الطاهرين من عترته الطيبين، وأزواجه، وأصحابه، وذريته.

أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله، والإنابة إليه، والتوكل عليه، فإنه مكرم المتقين، وغافر للمذنبين، وكافي المتوكلين؛ فاتقوا الله إعلانا وإسراراً إن كنتم ترجون لله وقارا، وقد خلقكم أطوارا، وقدم إليكم أعذار الحجج إعذارا؛ ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [سورة الزمر:٥٤]. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٣]، واجتهدوا قبل أن يفوت الاجتهاد، واستعدوا قبل أن يحال بينكم وبين الاستعداد، وبادروا؛ فالتوبة مقبولة، والإقالة مأمولة.

واستغفروا فالمغفرة مرجوة، والسيئات بالحسنات ممحوة، ولا تبيعوا الحظ الجليل من آخرتكم بالنصيب القليل من دنياكم، واعملوا قبل أن يأتيكم هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وهو الموت. ألا وإنه زائر غير محبوب، وغالب غير مغلوب، وكان قد اكتنفتكم غوائله، واعتقلتكم حبائله، وعظمت فيكم سطوته، وكانت ساحتكم روحته أو غدوته، فأيم أزواجكم، وأيتم أولادكم، وأوحش دياركم، ونقلكم من أعالي القصور إلى ظلمات القبور، وصير ما عمرتموه من الأبنية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خرابا، وما جمعتموه من الأموال ترابا، فحصل لورثتكم سهامها وعلمها، ويبقى عليكم إصرها وإثمها، ألا فانظروا لأنفسكم، وقدموا الزاد للمعاد قبل أن تمنعوا من تقديم الزاد؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المزمل:٢٠].

وبعد:

فإنا لما رأينا فرط رغبة علماء زماننا في علم التذكير، وأحق لهذا النوع من العلم أن تصدق فيه الرغبات، وتجرد له العزائم والنيات، فقد عظمه الله وشرفه، حيث سمَّاه نافعا، وسمى سيد الأولين والآخرين مذكرا، وكرر أمره في آي كتابه العزيز الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢] فقال: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم:٥]، وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات:٥٥] وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [سورة الغاشية:٢١]،

وكفي المتحلي بالتذكير شرفا، أنه شارك رسول الله في اسم سماه به ربه عز وجل، ثم استخرنا الله عز وجل في تصنيف كتاب جامع لمجالس مرتبة في آيات معدودة من كتاب الله تعالى، ويشتمل كل مجلس منها على ما يليق بالآية المبنى عليها المجلس من ذكر: التنزيل، والتفسير، والتأويل، والعبارة، والإشارة، والأخبار، والآثار؛ ليكون أكمل في بابه، وأبعث للمذكر على المصلحة ودراسته حاقرا وأصحابه نفسه مسافرا وسميناه: **(كتاب اللوامع وترتيب المجالس)**.

ونسأل الله عز وجل أن يبارك لنا ولكافة المسلمين فيه، وينفعنا جميعا به، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويوفقنا للتي هي أقوم، إنه هو الأعز الأكرم.

رابعا: دراسة المقدمة.

جاءت مقدمة كتاب: " اللوامع وترتيب المجالس" في صورة خطبة وعظية، وتضمنت في مضمونها ما يأتي:

١. بدأها الخركوشي بالحمد والثناء على الله جل وعلا، وأطال في ذلك، مستخدما أسلوب السجع الذي يناسب الخطابة، ومضمنا كلامه آيات قرآنية دالة على المعنى الذي يريده وشاهدة له.

٢. انتقل الخركوشي بعد الثناء على الله بما هو أهله إلى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأطال في ذلك أيضا؛ فأشار إلى طهارة نسبه، ومتانة خلقه وجلال مآثره وصفاته، وقد ذكرنا آنفا أن من مصنفات الخركوشي كتابه الكبير: " شرف المصطفي" وقد حقق وطبع، ولعلنا نقدم بحثا بعد ذلك في المقارنة بينه وبين اللوامع فالله المستعان.

٣ . ثم توجه إلى المُتَلَقِّين: سواء كانوا من الجالسين في مجلسه أم كانوا من القارئين لكتابه بعد وفاته قائلا: "أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله...إلخ "

والأمر بتقوى يعد من أركان الخطب الدينية، يأتي في مقدمتها، وذلك اعتمادا إلى تكرار هذا الأمر في القرآن كثيرا، ويلزم الأمر بالتقوى الأمر بالاستغفار، والتوبة الإنابة إلى الله جل وعلا، وكان ذلك تمهيدا بلاغيا رائعا للحديث عن الموت، وبيان أنه الواعظ الذي لا يغيب عن دنيا الناس وإن تناسوه في شئون حياتهم ومن هنا:

٤ . انتقل الخركوشي في مقدمته إلى التذكير بالموت، موجها موعظة مباشرة من خلال الحديث عنه ناصحا لبنى آدم أن يستعدوا له، وألا يغتروا بالحياة الدنيا وما فيها من زخارف زائلة. قائلا: (واعملوا قبل أن يأتيكم هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وهو الموت. ألا وإنه زائر غير محبوب، وغالب غير مغلوب...)،

وفي تحذيره من تناسى الموت نلمح جانبا مما كانت تموج به حياة الناس في عصر الخركوشي؛ وجعل الوعاظ والمذكرين، والمفسرين يحذرون منه، ألا وهو البذخ والترف، وحياة النعيم في القصور، وفي إشارة إلى التحذير من كل ذلك يقول الخركوشي: (ونقلكم من أعالي القصور إلى ظلمات القبور، وصير ما عمرتموه من الأبنية خرابا، وما جمعتموه من الأموال ترابا...).

واستدعى ذلك أن يقدم النصح بالاستعداد للآخرة والعمل لها، وتقديم الآية القرآنية الداعية إلى ذلك كدليل تخضع له قلوب المؤمنين وتذل له نفوسهم فيقول: قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المزمل:٢٠].

٥. ثم شرع في بيان أسباب تأليفه لهذا الكتاب في علم التذكير فقال: (فإنا لما رأينا فرط رغبة علماء زماننا في علم التذكير، وأحق لهذا النوع من العلم أن تصدق فيه الرغبات، وتجرد له العزائم والنيات، فقد عظمه الله وشرفه، حيث سماه نافعا، وسمى سيد الأولين والآخرين مذكرا ، وكرر أمره في آي كتابه العزيز الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢] فقال: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم:٥]، وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات:٥٥] وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [سورة الغاشية:٢١]، وكفي المتحلي بالتذكير شرفا، أنه شارك رسول الله في اسم سماه به ربه عز وجل).

فعلم التذكير كما يراه الخركوشي له أهمية بالغة تتمثل فيما يأتي:

ـ حرص العلماء في كل زمان على ممارسته والتأليف فيه، وذلك لأنه يمثل الدعوة إلى دين الله جل وعلا بالحكمة والموعظة الحسنة، وهي وظيفة الأنبياء عليهم السلام، ووظيفة العلماء من بعدهم؛ فالعلماء ورثة الأنبياء كما صح في الحديث.(١)

ثانيا: عاش الخركوشي في القرن الرابع الهجري، وهذا القرن كان يموج بالتيارات السياسية والدينية، وطغيان الجانب المادي على حياة المسلمين مما جعل علماءهم حريصين على عقد مجالس التذكير الدائم بالموت، وفناء الدنيا.

ثالثا: إن الخركوشي من أئمة الدعاة الذين اتخذوا من التصوف الصحيح ـ كما رآه وسبق أن وضحناه ـ منهجا في ممارسة دعوته في حياته ومجالسه العلمية التذكيرية.

(١) صحيح البخاري، ١/٢٤، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، رقم: ٦٧.

رابعا: إن الله سبحانه وتعالى قد حدثنا في كتابه الكريم عن التذكير في كثير من المواضع، وحدثنا عن سيرة الأنبياء في ذلك، وسمى سيد المرسلين محمدا ﷺ: " مذكرا " وكفي بذلك شرفا لهذا العلم ولمن جعله سيرته وبضاعته.

خامسا: إن الخركوشي في هذه المقدمة قد مهد ببيان أهمية كتابه من خلال بيان أهمية ما يحويه من علم. يشارك به علماء زمانه، فكيف كان منهجه الذي سلكه في كتابه؟ وهل كان مذكرا أم كان مفسرا؟ أم جمع بين العلمين في براعة نادرة؟

ولما انتهي من بيان أهمية كتابه بين الخركوشي رحمه الله منهجه في تناول هذا العلم فقال:

(ثم استخرنا الله عز وجل في تصنيف كتاب جامع لمجالس مرتبة في آيات معدودة من كتاب الله تعالى، ويشتمل كل مجلس منها على ما يليق بالآية المبنى عليها المجلس من ذكر: التنزيل، والتفسير، والتأويل، والعبارة، والإشارة، والأخبار، والآثار؛ ليكون أكمل في بابه، وأبعث للمذكر على المصلحة ... وسميناه: (كتاب اللوامع وترتيب المجالس).

ويمكننا من خلال هذه الفقرة أن نرى بوضوح منهج الخركوشي في لوامعه فيما يأتي:

١. الاستخارة.

٢. جمع المجالس مرتبة.

٣ . سيتناول آيات معدودة مختارة من كتاب الله.

٤. كل مجلس مبنى على آية من هذه الآيات.

٥. يتناول في الآية ما يأتي:

[التنزيل، والتفسير، والتأويل، والعبارة، والإشارة، والأخبار، والآثار؛ ليكون أكمل في بابه...]

وهذه العبارة الأخيرة هي منهج وطريقة التناول عند الخركوشي:

ويقصد بالتنزيل: سبب نزول الآية.

ويقصد بالتفسير: البيان اللغوي لبعض ألفاظ الآية، وتناول معناها من خلال تقسيمها إلى جمل كما سنرى في المجلس الأول، وذلك ببيان وجوه معانى اللفظة القرآنية من خلال نظائرها في القرآن الكريم، والاستدلال بالأحاديث النبوية المسندة وغير المسندة، والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين.

ويقصد بالتأويل، والعبارة والإشارة: ذكر بعض أقوال علماء الصوفية وجاءت على قلة.

ويقصد بالأخبار والأثار: ما ذكره من الروايات والآثار غير المسندة والمصدرة بقوله: قال بعضهم، وجاء في الأخبار، وجاء في الأثار.

وإضافة إلى ما سبق فإنه قد يبدأ حديثه عن اللفظة القرآنية بقوله ولهذا المعنى عدة وجوه في القرآن. وقد يستطرد في ذكر الروايات الغريبة فيعقب عليها أحيانا فيصفها بالغرابة).

وهذا المنهج هو منهج المفسرين في تناول آيات القرآن الكريم، فالخركوشي بمنهجه هذا مفسر من المفسرين بالمأثور، وهو التفسير القائم على النقول، وإن جاء ذلك في ثوب تذكير ووعظ وأسلوب خطابى واضح.

وهذا الجمع البارع من الخركوشي بين التذكير هدفا والتفسير منهجا له أسبابه التي أراها فيما يأتي:

الأمر الأول: شخصية الخركوشي نفسه، فقد سبق أن بينا في المبحث السابق نشأته الصوفيه، وعرضنا لمحاولاته الإصلاحية داخل الفكر الصوفي واستلزم هذا منه استخدام كل أساليب الأداء الدعوى المتاحة في عصره من إملاء للكتب أو وعظ في المجالس، أو بناء للمدارس، أو معالجة للمرضى من خلال بناء المشفي الذي كان يديره بنفسه، ومن هنا فليس بغريب أن يلازم لقب: " الواعظ" أبا سعيد الخركوشي في كل الكتب التي ترجمت له.

والأمر الثاني: أن التذكير الذي قدمه الخركوشي في لوامعه ما هو إلا مادة تفسيرية مرتبة ممنهجة تخرج في ثوب تذكيري وعظي.

والأمر الثالث: أن القرن الرابع الهجري ظهر فيه مثل هذا اللون من الوعظ من خلال مجالس التذكير والتفسير، وكان للقُصَّاصِ والمُذَكِّرِين شأنٌ ووجود وشيوخ وتلاميذ؛ ولم يكن للخركوشي أن يشذ عن هذا اللون الثقافي إلا بمحاولات الإصلاح داخل المنهجي الصوفي.

والأمر الرابع: إن المادة العلمية، والطريقة المنهجية التي سار بها الخركوشي في كتابه اللوامع ـ كما سبق أن أشرت ـ لاتخرج عن علم التفسير إلا في أمور قليلة ككلمة يختم بها الخركوشي مجلسه فيقول فيها: (فياخوانى أصيكم بكذا وكذا)، أو ذكره لروايات الوعاظ والمذكرين كقوله: (وقال بعضهم ...إلخ)، أو استطراده في بعض الروايات الغريبة التي قصد من الوعظ المباشر

خامسا: توثيق نسبة كتاب اللوامع إلى الخركوشي:

إن نسبة كتاب: اللوامع وترتيب المجالس " للإمام الخركوشي ثابتة من خلال عدد من الأدلة العلمية وهي:

١ـ ما جاء على غلاف النسخة من نسبتها إليه.

٢ . ما جاء في مقدمة المجلس الأول من قوله: (قال أبو سعد عبد الملك بن أبى عثمان الواعظ رحمة الله عليه ، الكلام في هذه الآية من أربعة أوجه...إلخ)

٣.ما جاء في كتب التراجم في الحديث عن مؤلفاته، ففي " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :(2/ 1569) اللوامع، لأبي سعيد: عبد الملك بن عثمان الخركوشي، الواعظ. المتوفي: سنة ٤٠٦، ست وأربعمائة.

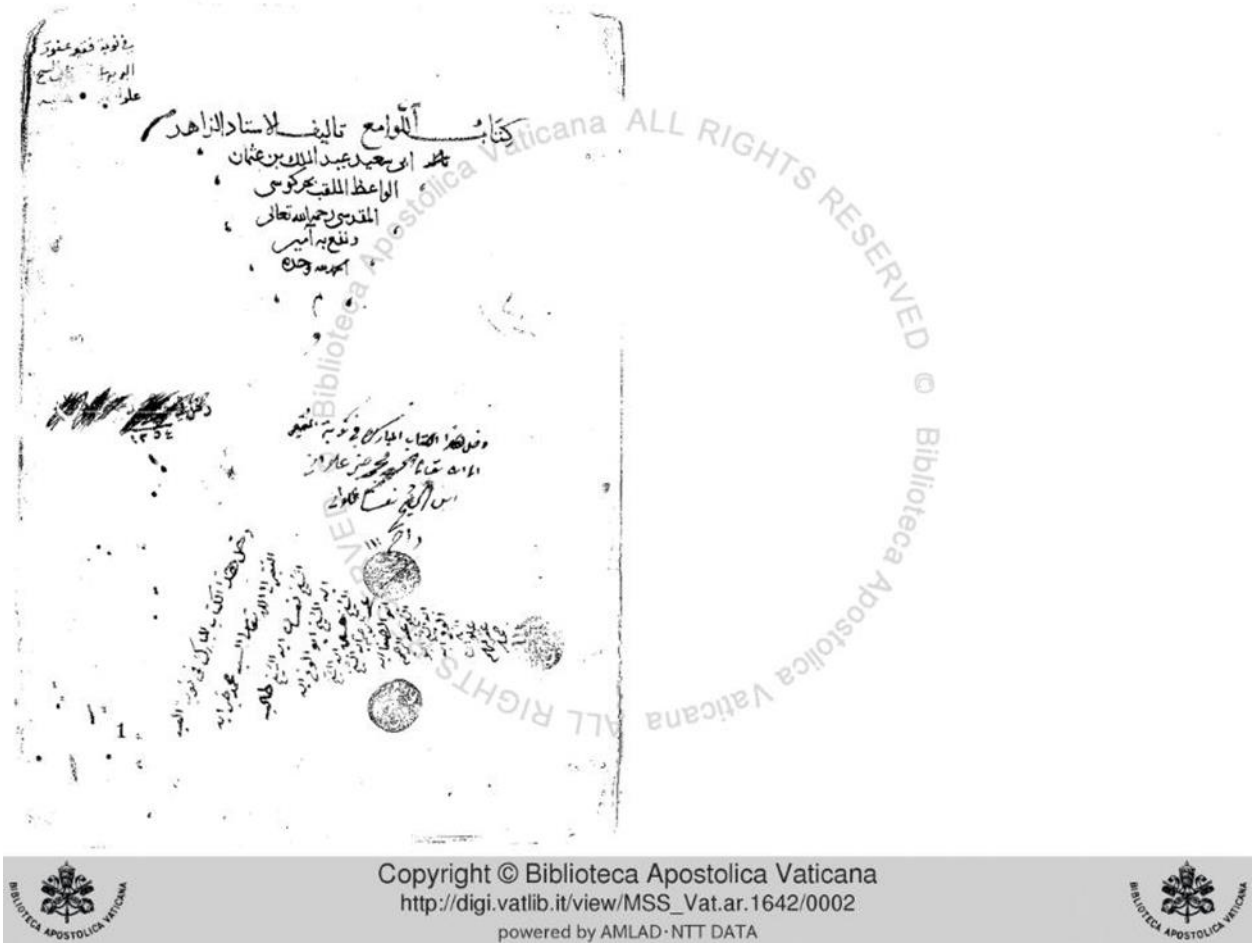

صور ضوئية للغلاف وللصفحات الأولى من كتاب " اللوامع وترتيب المجالس"

www.alukah.net
شبكة الألوكة

Copyright © Biblioteca Apostolica Vaticana
http://digi.vatlib.it/view/MSS_Vat.ar.1642/0003
powered by AMLAD·NTT DATA

www.alukah.net
شبكة الألوكة

Copyright © Biblioteca Apostolica Vaticana
http://digi.vatlib.it/view/MSS_Vat.ar.1642/0004
powered by AMLAD · NTT DATA

www.alukah.net
شبكة الألوكة

Copyright © Biblioteca Apostolica Vaticana
http://digi.vatlib.it/view/MSS_Vat.ar.1642/0004
powered by AMLAD · NTT DATA

www.alukah.net
شبكة الألوكة

Copyright © Biblioteca Apostolica Vaticana
http://digi.vatlib.it/view/MSS_Vat.ar.1642/0005
powered by AMLAD · NTT DATA

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصفحة الأخيرة من كتاب اللوامع وترتيب المجالس للخركوشى

Copyright © Biblioteca Apostolica Vaticana
http://digi.vatlib.it/view/MSS_Vat.ar.1642/0423
powered by AMLAD·NTT DATA

المبحث الثالث: منهج الخركوشي في لوامعه.

يتضمن هذا المبحث المجلس الأول من كتاب "اللوامع وترتيب المجالس" سنذكره نموذجا من مجالس الخركوشي، ثم نعقب عليه بعد ذلك بدراسة تحليلية كاشفة تبين لنا بعض لمحات من منهجه في تناوله للآيات القرآنية التي تضمنها كتابه.

كما ألحقناه بمجلسين آخري: مجلس من منتصف الكتاب، ومجلس من آخره، وقد آثرنا في هذه المجالس الثلاثة التي ذكرناها في هذا البحث ألا نذكر حواشيها من عزو، وتخريج، وتعقيب، وغير ذلك من مستلزمات التحقيق حتى لا نطيل البحث.

وقد جعل الخركوشي المجلس الأول في آية الكرسي وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

مجلس ١

في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

قال أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان الواعظ رحمة الله عليه: الكلام في هذه الآية من أربعة أوجه:

أحدها: في اسمها.

والثاني: في فضائلها.

والثالث: في معانيها.

والرابع: في نزولها.

فأما اسمها: فإنها سميت آية الكرسي لوجوه:

أحدها: لأن فيها ذكر الكرسي.

والثاني: ما روى أنها مكتوبة على الكرسي.

والثالث: ما روى في الأخبار، أن الملائكة الطائفين حول الكرسي يقرأون هذه الآية دون غيرها، وقيل: إنهم أبدا يستغفرون لقارئ هذه الآية من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: إنها سميت آية الكرسي؛ لأن الله تعالى يظل قارئها ـ مع الإخلاص، وصحة العقيدة ـ في ظل الكرسي يوم القيامة. [٦/أ]

وأما فضائلها:

١ـ فقد أخبرنا: أبو محمد بن جعفر بن مطر رحمه الله، قال حدثني الفضل بن خباب الجمحي، قال: أخبرنا أحمد بن الفرات قال: أخبرنا هشام بن إسماعيل الدمشقي قال: أخبرنا الوليد، عن الأوزاعي عن يحيى بن أبى كثير عن أبى بن كعب، عن أبيه قال:(قلت لجنى ما يجيرنا منكم؟ قال: آية الكرسي؛ فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: صدق).

٢ ـ وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ آية الكرسي عند منامه، ويقول: (أتأني جبريل، وقال: يا محمد إن عفريتا من الجن يكيدك في منامك؛ فعليك بآية الكرسي).

ـ وعن عبيد الله بن أبى جعفر، قال: (اشتكيت شكوتي؛ فجهدت منها، وكنت أقرأ آية الكرسي استشفي بها؛ فرأيت في منامي رجلين قائمين بين يدى، فقال أحدهما لصاحبه: إنه ليقرأ آية فيها ثلاثمائة وستون رحمة؛ أفلا يصيب هذا المسكين منها رحمة واحدة؛ فاستيقظت وقد شفيت).

ـ وعن بكر بن عبد الله المزني، قال: (كنت أقرأ كل ليلة آية الكرسي وأسلم دارى، وحانوتي إلى الله تعالى؛ فنسيت قراءتها ذات ليلة فلما انتبهت في بعض الليل ذكرتها، ثم نمت ثانية؛ فلما أصبحت إذا أنا برجل سارق دخل دارى، وجمع الأقمشة فشدها، وهو لا يهتدي إلى باب الدار، وقد وقف متحيرا، لا يدري ما يصنع، فاعتذر إلى وتاب إلى الله من عمله؛ فعلمت أن دخوله الدار لنسياني قراءة آية الكرسي، وأن وقوفه على تلك الحالة، وحفظ الله تعالى أمتعتى لبركة قراءتها).

ـ وعن عبد الله بن المبارك، قال: كان معي أصحاب في طريق الغزو، فاستقبلنا اللصوص، وسلبونا جميع ما معنا، إلا بذرة دراهم لأحدنا، فسألناه عن سبب ذلك؛ فقال: إني قرأت عليها آية الكرسي دون سائر ما كان معي من الأمتعة؛ فسلمت دونها.

. وبلغنا أن الفضل بن عياض في أيام بطالته قطع قافلة؛ فوجد كيسا من دراهم، مكتوبا عليه آية الكرسي فنادى في القافلة. [٦/ب] أين صاحب الكيس؟ فأتاه فرد عليه كيسه؛ فعاتبه أصحابه في ذلك؛ فقال:(أقطع على الناس دنياهم لا دينهم، وهذا الرجل قد سمع العلماء يقولون: إن الله تعالى يحفظ ما قرأت عليه آية الكرسي، أو كتبت، فلو سلبته هذا الكيس المكتوب عليه آية الكرسي لاختلجت في قلبه تهمة في الدين، واحتقر أهل العلم بعد هذا، ولست أرضى لنفسي أن أكون سببا لمثل هذا).

وأما الكلام على تفسير الآية ومعانيها:

فإن معنى اسم: (اللَّهُ) أنه هو الذي يستحق العبادة من خلقه، وهو إزالة العلة عن الربوبية، وتنزيه الحق عن الإحاطة. وقد اختلفوا في اسم الله: هل هو مشتق أم موضوع؟

ـ فقال بعضهم: هو مشتق، ثم اختلفوا مثبتو اشتقاقه؛ فمنهم من قال: هو مشتق من الإلهة، وهي العبادة. وقال بعضهم: هو مشتق من التأله والتضرع، ومعناه: أن الخلق يتألهون، ويتضرعون إليه في حوائجهم. وقال بعضهم: هو مشتق من الوله، وهو التحير؛ يعنى أن العقول تتحير في كنه عظمته.

ـ وقال بعضهم: هو غير مشتق، وحكى عن الخليل بن أحمد أنه قال: الله بكماله اسم الله؛ لأن الله لم يزل، ولا يزال كان قبل الاشتقاق، وأهل الاشتقاق إنما استنبطت هذه الاشتقاقات من اسم الله عز وجل. وقد أحسن الخليل بن أحمد فيما قال وأصاب، والله أعلم.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

قد قيل: يحتاج قائل: لا إله إلا الله إلى أربع خصال:

تصديق، وتعظيم، وحلاوة، وحرمة: فمن لم يكن له تصديق؛ فهو منافق. ومن لم يكن له تعظيم؛ فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة؛ فهو غافل، ومن لم يكن له حرمة؛ فهو جاهل.

ـ وقيل: يحتاج قائلها إلى ترك الشكوى عند المحنة، وترك المعصية عند النعمة، وترك الغفلة عند الفكرة، وأنشدوني لأبي العتاهية:

ما نطقَ الناطقُون مُذ نطقوا *** أحسنَ من لا إله إلَّا هُو

ولا دعا من رجا إجابته *** أنجح من لا إله إلَّا هُو [٧/أ]

من لذنوبي ومن يمحصها *** غيرك يا لا إله إلَّا هُو

من لهمومي ومن يفرجها *** سواك يا لا إله إلَّا هُو

ويل لذى اليهود إذ جحدوا *** أمرك يا لا إله إلَّا هُو

ويل لحزب المجوس إذ عبدوا *** شمسك يا لا إله إلَّا هُو

ويل للنصارى إذ هم عبدوا *** الصلبان يا لا إله إلَّا هُو

أقول حقا بصدق مجتهد *** أشهد أن لا إله إلَّا هُو

قد شهد الله عن ذكراه *** بأنه لا إله إلَّا هُو

وكل من في السماء من ملك *** يشهد أن لا إله إلَّا هُو

خط على العرش خط مستطر *** رضا به لا إله إلَّا هُو

الشمس والنجم يسجدان له *** لأنه لا إله إلَّا هُو

خليل ربى حين استغاث به نادى من النار لا إله إلَّا هُو

موسى على الطور حين كلمه *** نادى بأن لا إله إلَّا هُو

يوسف في الجب حين ناداه *** أخرجه لا إله إلَّا هُو

أقول مخلصا بلا كسل *** أشهد أن لا إله إلَّا هُو

وأما قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾

فهو الدائم الذي لا يموت، والباقي الذي لا يفنى، فسره قوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٥٨]، فهو حي لا بالروح، ونحن أحياء بالأرواح، وهو حي لا بالأنفاس، ونحن أحياء بالأنفاس، وهو حي لا بالطبائع ونحن أحياء بالطبائع، وهو حبى لم يلد ولم يولد، ونحن أحياء مولودون ووالدون، وهو حي لا يموت ونحن أحياء نموت.

ـ وحكي أن رجلا [التجار ـ النقاد] بمال، قال: فعرضه عليه؛ فأبى قبوله، وقال: يا هذا، أرى فيك عيوبي لا أراها في مدبري، منها: أن مالك ينقص، ومال مدبري لا ينقص، ومنها: أنك محتاج فقير، [٧/ب] ومدبري غنى غير محتاج، ومنها: أن غناك إلى زوال، وغنى مدبري دائم باق، ومنها: أنك غير عالم بما يصلحني، ومدبري علام به، ومنها: أنك تمنعني النفقة بمعصية واحدة، وإن كنت أطيعك لفقري؛ ومدبري ليمنعني رزقي، وإن لم أطعه أبدا، ومنها: أنك حي تموت، ومدبري حي لا يموت، فإذا أنت مت استحييت أن أقول أن مدبر الأرض قد مات! فارزقني يا مدبر السماوات.

وأما: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ فهو القائم في خلقه وعباده بما فيه صلاحهم، ونفعهم ورشدهم، كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [سورة الرعد:٣٣]، فهو قائم على عباده بأرزاقهم، وآجالهم.

ـ وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأها " القيام " وبه قرأ ابن مسعود، والنخعي، والأعمش، وقرأ عمر " القيم "؛ وكذلك في مصحف عبد الله، وحيث اختلفت فيها القراءات؛ فإن معناها غير مختلف.

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فالسنة: النُّعاس، وهو غمض العين، وشهوة النوم، والنوم: استثقاله. فنفي الله عن نفسه الحالين جميعا؛ إذ هما من صفات المخلوقين.

٣ ـ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام)

ـ وقيل: السِنة هي الفتور؛ لأن الناعس يفتر بدنه، والنوم هو الغفلة؛ لأن النائم غافل لا يعمل؛ فكأنه عز وجل أعلم عباده بأنه لا يفتر، ولا يغفل عن تدبير خلقه ـ وبلغنا أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل ينام ربنا؟ فأوحى الله عز وجل: يا موسى اجمع بني إسرائيل في صعيد، وخذ بيدك قارورتين، وقم على ربوة ـ يراك الداني والقاصي ـ ففعل موسى عليه السلام ذلك، وهو يحدث بنى إسرائيل؛ إذ نعس موسى عليه السلام، وانكسرتا؛ فأوحى الله إلى موسى: إني لو نعست لسقطت السماوات والأرض بعضها على بعض؛ ولهلك من فيهن، وأنه لا ينبغي لي أن أنام عن ملك وأنا قيمه.

ـ وقيل: إن النوم على خمسة أوجه: نوم عقوبة، ونوم كرامة، ونوم غدوة، ونوم نعمة، [٨/أ] ونوم غفلة:

* فنوم الغفلة: هو أن يتعد النوم في وقت أداء الفرض.

* ونوم كرامة هو أن يقع في قلبه أن يهم بالمعصية؛ فيلقى عليه النوم حتى يزول عنه ذلك الهم.

٤ ـ وذلك مثل النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يذهب إلى مجمع الفتيان بمكة للمسامرة ـ في المرتين جميعا ـ عصمة الله تعالى إياه.

* ونوم الغدوة: وهو القيلولة؛ للاستعانة بها على التهجد.

* ونوم النعمة: نوم المريض، والمغمى عليه؛ فيزايلهما بذلك الوجع والكلال.

* ونوم الغفلة، ما قيل:

ـ الناس نيام؛ فإذا ماتوا انتبهوا.

وجميع هذه الأنواع منفية عن الله تعالى.

وقال بعضهم: النوم يتنوع أنواعا فمنها:

* نوم القدرة؛ لآدم عليه السلام؛ وذلك حين ألقى الله عليه النوم؛ فخلق حواء من قصيراه.

* ونوم الامتحان للخليل عليه السلام؛ قوله عز وجل، حكاية عنه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [سورة الصافات:١٠٢].

*ونوم الولاية والكرامة لأصحاب الكهف؛ قوله جل ذكره: قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [سورة الكهف:١١] يعنى: أنامهم.

*ونوم التنزيه، وهو نوم موسى دلت على تنزيه الله تعالى عن النوم.

* ونوم البرهان والمعجزة، وهو نوم المصطفي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أنه قال: (تنام عيناي ولا ينام قلبي).

* ونوم الصحابة رضي الله عنهم، قوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [سورة الأنفال:١١].

*ونوم الراحة لجميع الخلق، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ [سورة النبأ:٩].

فلما كان سبحانه وتعالى منزه عن جميع هذه الخصال التي لأجلها يحتاج إلى النوم

فالنوم عنه منفيا؛ فلذلك قال عز من قائل: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يملك ما في السماوات وما في الأرض: ذا روح، وغيره؛ فليس ينبغي لأحد أن يعبد غير خالقه، ويخدم غير مالكه.

ـ قال بعض أهل المعاني: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِن الحافين الطائفين. قوله: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ﴾ [سورة الزمر:٧٥]، وما في الأرض من الطائفين، قوله: قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [سورة البقرة:١٢٥].

ـ وقيل: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الشمس، والقمر، والنجوم، والأفلاك.

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

من الأنبياء، والأولياء، والأتقياء.

ـ وسئل بعضهم عنه؛ فقال: له ما في السماوات من الدلائل على ربوبيته، وما في الأرض من الدلائل على وحدانيته. والآية شاملة للجميع.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وإنما قال ذلك؛ لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]؛ فكأن الله تعالى قال: إنها لا تنفعكم عندي؛ فإنه لا يشفع أحد لأحد إلا بأمري.

ـ وقال بعض الناس: إن الشفيع في الحقيقة هو الله تعالى؛ فإن أحدا لا يقدر أن يشفع إلا بإذنه وأمره؛ فكان يشفع لعباده إلى نفسه؛ لذلك قال الله: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر:٤٤].

واعلم أن الشفاعة يحتاج إليها في القيامة المطيع والعاصي: فأما المطيع؛ فلزيادة الدرجات. وأما العاصي: فلغفران السيئات.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعنى علم ما كان، وما يكون، وما مضى من الدنيا وما بقي.

- روى عن الحكم، ومجاهد، والسدى، وابن جريج: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الدنيا. ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ الآخرة.

- ويقال: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من أمر الآخرة؛ فإن الآخرة بين الدنيا وما خلفهم من أمر الدنيا؛ فإن الباقي من أمر الدنيا كالماضي؛ لسرعة زوالها وفنائها.

- وقيل: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من شأن الأمم الماضية.

﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ من شأن هذه الأمة.

- وقيل: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من أمور الأموات. ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ من أمور الأحياء.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ يعنى: من كان بالأشياء جاهلا؛ فلا يستحق الألوهية؛ فهو الذي (لا يخفى عليه شيء)، ولا يعلم أحد من عباده شيئا إلا من علمه إلا بما شاء هو أن يعلمه؛ ولذلك قالت الملائكة: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾ [سورة البقرة:٣٢].

من الفرق بين علمه عز وجل، وبين علمنا أن علمنا بالتعلم. وعلمه بلا تعلم. وعلمنا اكتسابي، وعلمه أزلي. وعلمنا بالضمائر، وهو عالم لا ضمير له، وعلمنا منه، وعلمه منه ليس بخاف إلى أحد دونه. ولعلمنا نهاية، وليس لعلمه نهاية، وعلمنا [لا يخلوا - هكذا بالألف] عن جهل، وهو عالم سبحانه[٩/أ] أن يكون له جهل، وعلمنا بالشاهد دون الغائب، وعلمه بالغائب كعلمه بالشاهد، وبالباطن كعلمه بالظاهر، وبالسر كعلمه بالعلانية، والمستقبل كعلمه بالماضي.

- وحكي عن أبي يزيد أنه قال: إن في اللوح عشرة أسطر، فما أعلم الله تعالى منها جميع خلقه أكثر من سطر واحد [منها]، ثم قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة الإسراء:٨٥].

وقوله: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ اختلفوا في معنى الكرسي: فقال ابن عباس: (الكرسي: العلم)، ومن هنا سمي ما يكتب فيه العلم كراسة. وقال بعضهم: إنه الكرسي والذي يعرف، وأنه يسع السموات والأرض.

٥ . وروينا عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(الكرسي من لؤلؤ، وطول القلم سبع مئة سنة، وطول الكرسي حيث لا يعلمه إلا العالمون.

ـ قالوا: وإن الكرسي في العرش كالحلقة في الفلاة من الأرض.

ـ وقال الحسن البصرى: (الكرسي والعرش شيء واحد).

ـ وقال بعضهم: ئي ئۆ ئۇ يۈ ئى: ملأت عظمته وقدرته كل شيء، وقامت السماوات الأرض بأمره. والكرسي: أصل الشيء وأساسه.

ـ وحكى بعض المتقدمين أنه قال: الكرسي ملك من الملائكة، نبه الله تعالى ـ بهذه الآية ـ عباده على عظمته؛ فقال: إن ملكا من ملائكتي ملأ السماوات والأرض؛ فإذا كان خلقا من خلقي له هذه الصفة من العظمة، فكيف تقدر قدرتي؟ وتعرف عظمتي؟

وهذه المقالة غريبة جدا!

ـ وفي بعض الأخبار: أن بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة، وسبعين حجابا من برَد، وسبعين حجابا من ثلج، وسبعين حجابا من نور. غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام؛ لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من حملة العرش؛ فإذا كانت هكذا، فكيف بنور النور الذي لا يبلغه وصف؟

ـ وقال الربيع: (لما نزلت هذه الآية، قالت الصحابة: يا رسول هذا الكرسي وسع السماوات [٩/ب] والأرض، فكيف العرش؟ فأنزل الله عز وجل: قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [سورة الزمر:٦٧].

قوله: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ قال ابن عباس، والجمهور:(ولا يثقل عليه حفظهما)، وقيل معناه: لا يشغله حفظ الأرضين عن حفظ السموات، ولا حفظ السماوات عن حفظ الأرضين؛ ولذلك لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين؛ فتبارك الله رب العالمين.

ـ وروى في بعض الأخبار: أن ملكا من حملة العرش، استأذن ربه أن يطير ليرى منتهي الملكوت؛ فأذن له في ذلك، فطار ثلاثين ألف سنة؛ فنظر فإذا هو في قائمة الكرسي، فعند ذلك قال: سبحان ربى الأعلى؛ فقال جبريل: يا محمد والذي بعثك بالحق لو طار إلى يوم القيامة ما قطع جزءاً واحدا من ألف جزء من قائمة الكرسي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ قيل: عليٌّ في جلاله، عظيم في سلطانه.

ـ وقال ابن عباس: (العظيم: الذي قد كمل في عظمته دائما، وصف نفسه بالعظمة؛ لأن كل ما دونه صغير عند عظمته. فالله تعالى عظيم).

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ وكلامه عظيم؛ قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [سورة الحجر:٨٧].

وعرشه عظيم: قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة النمل:٢٦].

وأجره عظيم؛ قوله: ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٤٠].

وفضله كريم؛ قوله: ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:١١٣].

وحَشْرُ الخلائق عظيم؛ قوله: ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة المطففين:٥].

فاعتصموا به يا إخواني، ووحدوه ولا تشركوا به شيئا؛ ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة لقمان:١٣].

وأما نزولها:

ـ فكان الكافرون يعبدون الأصنام، ويسمونها بالآلهة؛ فأنزل الله هذه الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. أخبر أن الإله واحد، لا إله غيره، وأن أصنامهم لا تستحق الألوهية؛ فإنها موات، والله هو الحي القيوم. ثم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨].

فأنزل الله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥] أي: من ذا الذي جعل ما يعبدون [١٠/أ] شفعاء عندي ولا يشفع أحد عندي إلا بإذني.

٦ ـ وقيل: نزلت في وفد نجران، حين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال لهم: (أسلموا). قالوا: أسلمنا [قبلك]؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولكن منعكم عن الإسلام ثلاث خصال:

ـ أكلكم لحم الخنزير.

ـ وعبادتكم الصليب.

ـ وقولكم لله ولد وشريك، قالوا: فما تقول في صاحبنا عيسى؟

قال: أقول إنه عبد الله وابن أمته، ورسوله إلى خلقه.

قالوا: لا تقل مثل هذا؛ فإنه يأنف أن يكون عبد الله؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [سورة النساء:١٧٢] وأنزل الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الذي لا يموت، وعيسى يموت. القيوم: الأول الذي لا بداء له، وعيسى كان بالأمس فكيف يكون أهلا لربوبيته؟)

***

دراسة المجلس السابق:

أولا: بنى الخركوشي أول مجالسه على آية الكرسي، وهي أعظم آيات القرآن الكريم، وكله عظيم، فقد ورد في فضائلها من الأحاديث الصحيحة ما سيأتي ذكره بعد حين، وكونه يُصَدِّر مجالسه بهذه الآية العظيمة؛ ففي هذا براعة استهلال يعده البلاغيون لفتة بلاغية رائعة. ولعله يلتمس من بركات هذه الآية ما استعان به على كتابة مصنفه هذا.

وفي هذا المجلس أيضا أتى توثيق صحة الكتاب للخركوشى حيث جاء في أوله عبارة:

(قال أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ رحمة الله عليه).

ثم قسم الخركوشي كلامه عن الآية إلى أربعة وجوه: (اسمها، وفضلها، ومعانيها، نزولها)

وهذا التقسيم خالف به ما أشار إليه في مقدمته من أنه سيتناول في الآيات: (التنزيل، والتفسير، والتأويل، والعبارة، والإشارة، والأخبار، والآثار؛ ليكون أكمل في بابه...) هكذا بين منهجه في مقدمته؛ لكنه هنا في المجلس الأول وفي تناوله لآية الكرسي اقتصر على أربعة وجوه فقط ، ولعله قصد بما ذكره في المقدمة أنه سيبنى كتابه كله على هذا المنهج القائم على سبعة وجوه، ولم يقصد أن كل آية سيتناولها من خلال هذه السبعة.

ثم إنني لاحظت أن مصطلح "**وجوه**" مصطلح مطرد في كتابه اللوامع فإنه يقسم كلامه عن الآية إلى وجوه، وسيتحدث عن وجوه بعض الألفاظ في القرآن الكريم، وسيتحدث عن وجوه بعض المعاني لبعض الألفاظ. وليس ذلك في هذا المجلس فقط بل في سائر مجالس الكتاب وصولا إلى المجلس الأخير الذي تحدث فيه عن المعراج؛ فيقول في لوحة [ب٤١١]: (ونحن . بعون الله تعالى ـ نبدأ بذكر ما قيل من وجوه الحكمة في المعراج ...إلخ).

ثانيا: تحدث الخركوشي عن سبب تسمية آية الكرسي بهذا الاسم ، معللا بذلك باستنباط من كلمات الآية نفسها، وهو ورود لفظ " الكرسي " فيها، ثم أخذ في ذكر الآثار التي تدل على أسباب تسميتها بهذا الاسم وقد صدر هذه الآثار بصيغة التضعيف: " روي " المبنية للمجهول ، وهي صيغة تمريض؛ فذكر ثلاثة آثار مصدرة بلفظ "روي"، وصدر الأثر الرابع بقوله: "وقال بعضهم: إنها سميت آية الكرسي؛ لأن الله تعالى يظل قارئها . مع الإخلاص، وصحة العقيدة . في ظل الكرسي يوم القيامة) وتلاحظ في هذا الأثر أمرين:

أولهما: جهالة هؤلاء البعض القائلين بهذا القول.

وثانيها: هذه الجملة الاعتراضية التي ذكرها الخركوشي في نص الأثر فقال: مع الإخلاص وصحة العقيدة، فهذا القيد الذي وضعه رحمه الله يدل على يقظته لما يرويه، وحرصه على بيان أن الإخلاص وصحة الاعتقاد هما أساس القبول للأعمال.

وبعد الحديث عن اسم الآية قال: "وأما فضائلها" وتحت هذا العنوان ذكر حديثين:

الحديث الأول:

جاء إسناده من الخركوشي نفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ترجمت لرواته في الحاشية، وتبين أنهم ثقات لكنى لاحظت أن سند هذا الحديث جاء هكذا:

(أخبرنا: أبو محمد بن جعفر بن مطر رحمه الله، قال حدثني الفضل بن خباب الجمحي، قال: أخبرنا أحمد بن الفرات قال: أخبرنا هشام بن إسماعيل الدمشقي قال: أخبرنا الوليد، عن الأوزاعي عن يحيى بن أبى كثير عن أبى بن كعب، عن أبيه قال:(قلت لجنى ما يجيرنا منكم؟ قال: آية الكرسي؛ فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: صدق).

ما جاء في المخطوط أن يحيى بن أبي كثير، روى عن أبى بن كعب رضى الله عنه، لعله خطأ من الناسخ لأن أبى بن كعب الصحابي الجليل، هو: ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد العقبة وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وعرض على النبي – عليه السلام – وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل – رضي الله عنه. قال الواقدي عنه: رأيت أهله وغير واحد يقولون: مات في سنة

اثنتين وعشرين بالمدينة. وقد سمعت من يقول: مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين وهو أثبت الأقاويل عندنا؛ لأن عثمان أمره أن يجمع القرآن).[١]

فإذا كان يحيى بن أبى كثير قد مات (١٢٩هـ) فبينهما مئة سنة أي قرن كامل مما يستحيل معه رواية يحيى عن أبي رضى الله عنهما، وإنما روى يحيى بن أبى كثير عن عبد الله بن أبى بن كعب وهو ما أسقطه الناسخ من الإسناد ودليل ذلك:

١. إن عبارة الناسخ في المخطوط هي: (عن أبى بن كعب، عن أبيه قال...) فهذا يعنى أن (أُبيّ) قد روى هذا الحديث عن أبيه (كعب)، ولم أجد كعب بن قيس هذا من رواة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢. وإنما وجدت في فضائل آية الكرسي حديثا أخرجه الحاكم في مستدركه جاء سنده كما يأتي:

(عَنْ أُبَيٍّ أَيْضًا فِي فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا مُبَشِّرٌ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ فِيهِ تَمْرٌ قَالَ: فَكَانَ أُبَيٌّ يَتَعَاهَدُهُ فَوَجَدَهُ يَنْقُصُ قَالَ: فَحَرَسَهُ).[٢]

ففي هذا الإسناد نجد أن يحيى بن كثير لم يرو عن أبي بن كعب مباشرة؛ لأن ذلك محال كما سبق أن أشرنا، وإنما يروي عن عبدة بن أبي لبابة، عن عبد الله بن أبي بن كعب.

وهذا يعنى أن الناسخ قد أسقط، أو أخطأ في كتابة الإسناد فجعل يحيى بن أبي كثير راويا عن أبي بن كعب مباشرة، وإنما الصواب أن يحيى بن أبي كثير قد روى عن ابن لأبيّ بن كعب هو " عبد الله " عن أبيه وهو أبي بن كعب والله أعلم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٠.

(٢) المستدرك للحاكم ١/ ٥٦٢، وفيه انقطاع، وقد جاء من طريق آخر، فرواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٧٢٤) "موارد" من طريق الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ ابْنِ لأبي بن كعب، عن أبيه كعب أنه أخبره فذكر نحوه.

٣. وعبد الله بن أبي بن كعب الأنصاري روى عن أبيه، وعنه يحيى بن أبي كثير الذي قال: (حدثني بن أبي أن أباه أخبره ...) وساق حديثا عن فضل آية الكرسي أيضا، يقول ابن حجر: (وأظن أن بن أبي هذا اسمه عبد الله كذلك ثبت في مسند أبي يعلى من روايته عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن مبشر بن إسماعيل بسند النسائي سواء، وقال عن عبد الله بن أبي فذكره. قال عنه ابن حجر: مقبول من الثالثة).[١]

الحديث الثاني:

ذكره الخركوشي دون إسناد، وإنما صدره بقوله: "روى " وهي ـ كما سبق أن ذكرنا من صيغ التضعيف، والتمريض في الحديث، ولذلك فقد حاولت العثور على نص الحديث في مظانه فلم أصل إليه.[٢]

وهذا يعني أن من منهج الخركوشي الاستدلال بالحديث النبوي الشريف: بالصحيح وغيره. وأن له إسنادا يصل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا دليل على أن له مع علم الحديث، وروايته، شأن كبير، وقد أشرنا سابقا أنا المحدث أبا عبد الله الحاكم روى عنه، على الرغم من هذا الأخير كان أكبر من الخركوشي سنا، مما يدل على درجة الثقة التي حازها الخركوشي عند رواة الحديث في عصره.

وفي فضائل آية الكرسي ذكر الخركوشي ـ بعد هذين الحديثين ـ أربعة آثار كلها عن الأكابر من أهل التصوف كـ (الفضيل بن عياض ـ عبد الله بن المبارك ـ وبكر بن عبد الله المزني ... وغيرهم)

وفي هذه الروايات حكايات وقصص قصيرة بعض الشيء، كتلك التي رواها عن الفضيل بن عياض، وكيف أن آية الكرسي كانت سببا لنجاة بعض الضعفاء من بطشه قبل توبته، وفي

---

(١) ونصه كما أورده الخركوشي : (وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ آية الكرسي عند منامه، ويقول: (أتاني جبريل، وقال: يا محمد إن عفريتا من الجن يكيدك في منامك؛ فعليك بآية الكرسي).

(٢) ونصه كما أورده الخركوشي: (وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ آية الكرسي عند منامه، ويقول: (أتانى جبريل، وقال: يامحمد إن عفريتا من الجن يكيدك في منامك؛ فعليك بآية الكرسي).

رأيي أن الخركوشي قد ذكر هذه الروايات وأمثالها كثير، بل وكثيرا من المبالغات حتى تتناسب مجالسه مع هدفه، وهو الوعظ والتأثير في نفوس السامعين والقارئين لكتابه.

بل إنني ألمح أن الخركوشي عندما يتحدث عن فضائل الآيات التي يذكرها في مجالسه يكون مُذَكِّرا؛ فإذا وقف أمام تفسيرها التزم منهج المفسرين، كما سنرى في كلامه عن تفسيره لآية الكرسي.

ففي تفسيره لهذه الآية قام أولا بتقسيمها إلى جمل أو وحدات صغيرة، يعتمد في هذا التقسيم على أهمية الوحدة، أو الجملة، وما ورد بشأنها عند العلماء من اللغويين، والمفسرين، والمحدثين، وغيرهم.

وتقسيم آية الكرسي عنده جاء في ثلاثة عشر قسما، أو وحدة كما يأتي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

في كل قسم من هذه الأقسام يقف بداية أمام المعنى العام القريب، ثم أمام المعنى للغوي، والبعد الاشتقاقي، وينقل كلام اللغويين في ذلك كالخليل بن أحمد وغيره، ففي حديثه عن لفظ الجلالة " الله " يقول الخركوشي: (فإن معنى اسم: (اللَّهُ) أنه هو الذي يستحق العبادة من خلقه، وهو إزالة العلة عن الربوبية، وتنزيه الحق عن الإحاطة. وقد اختلفوا في اسم الله: هل هو مشتق أم موضوع؟

ثم يذكر في اختصار الاختلاف بين اللغوين في مسألة الاشتقاق: فمنهم من قال إنه مشتق، ومنهم من قال: إنه غير مشتق، ثم يختار الرأي القائل إنه غير مشتق قائلا: "وحكي عن الخليل بن أحمد أنه قال: الله بكماله اسم الله؛ وقد أحسن الخليل بن أحمد فيما قال وأصاب، والله أعلم).

إن اعتبارات الترجيح عند الخركوشي لم يلجأ فيها إلى جدال اللغويين، وإلى براهين المتكلمين، ولا إلى روايات المفسرين والمحدثين؛ وإنما يقوم ترجيحه على تعظيم للخالق سبحانه

وتعالى، وذلك بتعظيم اسمه وسموه عن مسائل الاشتقاق التي تعلمها اللغويون استنباطا من اسمه سبحانه وتعالى، أو كما يقول الخركوشي في عبارته: "لأن الله لم يزل، ولا يزال كان قبل الاشتقاق، وأهل الاشتقاق. إنما استنبطت هذه الاشتقاقات من اسم الله عز وجل".

وعلى هذا الاعتبار فقد رجَّح الخركوشي رأيَ الخليل بن أحمد القائل بعدم الاشتقاق في لفظ الجلالة، وذلك يكشف من جانب آخر أن من منهج الخركوشي في تناوله لتفسير الآية ترجيح بعض الأقوال على سواها.

فإذا انتقل الخركوشي للحديث عن القسم الثاني من أقسام الآية، وهو قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فكأنه قد رأى وضوح معناها فلم يتناولها من ناحية اللغة أو النحو؛ وإنما انتقل مباشرة إلى ما يجب على الناطق بكلمة التوحيد، وهي: "لا إله إلا الله" إلى أربع خصال: "تصديق، وتعظيم، وحلاوة ، وحرمة"، ثم يشرح كل خصلة من هذه الخصال بما يقابلها، وفي هذا انتقال للخركوشى من كونه مفسرا يقف مع النص من حيث لغته وبيان مفرداته: لغة واشتقاقا، إلى كونه صوفيا مربيا يربط بين النص وأثره في نفوس المتلقين له، وهذا يتناغم تماما مع شخصية الخركوشي الصوفي المصلح .

ويستعين بعد ذلك بشعر أبي العتاهية، فينقل عنه نحو خمسة عشرة بيتا أولها:

ما نطق الناطقون مذ نطقوا *** أحسن من لاإله إلا هو

وآخرها:

أقول مخلصا بلا كسل *** أشهد أن لا إله إلا هو

وفي كل بيت من هذه الأبيات يتكرر قوله " لا إله إلا هو " وكأن الخركوشي في روايته لهذه الأبيات يريد أن يجعل من مجلسه حلقة من حلقات الذكر من خلال شعر أبي العتاهية، فهو المعروف أنه أشعر الشعراء في الزهد والوعظ وذم الدنيا.

والاستشهاد بالشعر عند الخركوشي لا يأتي لبيان المعنى اللغوي في الآية، وإنما يأتي غالبا للنصيحة، والموعظة، وبيان الزهد، وبيان عاقبة الإحسان أو العصيان. وهذا من سمات منهجه التفسيري التذكيري.

ومن سمات منهج الخركوشي البارزة تفسير القرآن بالقرآن، فلا يقف أمام آية من الآيات أو قسم من أقسامها إلا ويفسرها بأختها أو أخواتها من القرآن الكريم، ففي تفسيره لمعنى " الحى " يقول الخركوشي: " فهو الدائم الذي لا يموت، والباقي الذي لا يفنى، فسره قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٥٨]، وأما: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ فهو القائم في خلقه وعباده بما فيه صلاحهم، ونفعهم ورشدهم، كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [سورة الرعد:٣٣]

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ وكلامه عظيم؛ قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [سورة الحجر:٨٧].

وعرشه عظيم: قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة النمل:٢٦].

وأجره عظيم؛ قوله: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٤٠].

وفضله كريم؛ قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:١١٣].

وحَشْرُ الخلائق عظيم؛ قوله: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة المطففين:٥].

وهكذا يمضي الخركوشي في تفسير القرآن بالقرآن في سائر كتابه. فهو مكثر من ذلك جدا.

ومن اللافت للنظر في منهج الخركوشي الوقوف أمام بعض ألفاظ الآية والاستطراد في بيانها، وبخاصة إذا كانت هذه الألفاظ ذات علاقة مباشرة بالإنسان وسلوكه ومواقفه، وأوضح الأمثلة على ذلك تناوله للفظ: "النوم " في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ يقول الخركوشي:

(وقيل: إن النوم على خمسة أوجه: نوم عقوبة، ونوم كرامة، ونوم غدوة، ونوم نعمة، ونوم غفلة:

* فنوم الغفلة: هو أن يتعد النوم في وقت أداء الفرض.

* ونوم كرامة هو أن يقع في قلبه أن يهم بالمعصية؛ فيلقى عليه النوم حتى يزول عنه ذلك الهم.

٤ ـ وذلك مثل النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يذهب إلى مجمع الفتيان بمكة للمسامرة ـ في المرتين جميعا ـ عصمة الله تعالى إياه.

* ونوم الغدوة: وهو القيلولة؛ للاستعانة بها على التهجد.

* ونوم النعمة: نوم المريض، والمغمى عليه؛ فيزايلهما بذلك الوجع والكلال.

* ونوم الغفلة، ما قيل: الناس نيام؛ فإذا ماتوا انتبهوا.

وجميع هذه الأنواع منفية عن الله تعالى.

وقال بعضهم: النوم يتنوع أنواعا فمنها:

* نوم القدرة؛ لآدم عليه السلام؛ وذلك حين ألقى الله عليه النوم فخلق حواء من قصيراه.

* ونوم الامتحان للخليل عليه السلام؛ قوله عز وجل، حكاية عنه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [سورة الصافات:١٠٢].

*ونوم الولاية والكرامة لأصحاب الكهف؛ قوله جل ذكره: قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [سورة الكهف:١١] يعنى: أنامهم.

*ونوم التنزيه، وهو نوم موسى دلت على تنزيه الله تعالى عن النوم.

* ونوم البرهان والمعجزة، وهو نوم المصطفي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أنه قال: (تنام عيناي ولا ينام قلبي).

* ونوم الصحابة رضي الله عنهم، قوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [سورة الأنفال:١١].

*ونوم الراحة لجميع الخلق، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [سورة النبأ:٩].

فلما كان سبحانه وتعالى منزه عن جميع هذه الخصال التي لأجلها يحتاج إلى النوم

فالنوم عنه منفيا؛ فلذلك قال عز من قائل: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

انظر كيف تحدث الخركوشي عن مفردة النوم، فذكر وجوهها الخمسة، وهذه الوجوه لم يتناولها من الناحية اللغوية، وإنما تناولها من الناحية السلوكية التربوية، مبينا علاقتها بالخلق وعلاقة الخلق بها، وأما حديثه عن أنواع النوم فتتبع ورودها في القرآن الكريم.

إن هذا النموذج يبين لنا سمة تفرد بها منهج الخركوشي في تناوله للآيات التي فسرها في مجالسه، وهي عبقريته في المزج غير المتكلف بين التفسير بمفهومه عند المفسرين وبين التذكير بمفهومه عند المذكرين، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، وإن كان النفس الصوفي الوعظي التذكيري هو الأبرز، فلا مانع أن يعرج في تفسيره على قراءة قرآنية لكنه سرعان ما يربط بين اختلاف القراءات وبين المعنى الذي يصبو إليه من الآية، وإليك أسوق هذا النموذج في تناوله لقوله تعالى: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ يقول: (وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأها "القيام" وبه قرأ ابن مسعود، والنخعي، والأعمش، وقرأ عمر "القيم" ؛ وكذلك في مصحف عبد الله، وحيث اختلفت فيها القراءات؛ فإن معناها غير مختلف.)

والمعنى الذي يريد الخركوشي أن يقرره هو: (فهو القائم في خلقه وعباده بما فيه صلاحهم، ونفعهم ورشدهم، كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [سورة الرعد:٣٣]، فهو قائم على عباده بأرزاقهم، وآجالهم.) وهو ـ كما ترى المعنى القريب السهل الواضح الذي يبعد عن وحشي اللغة، ووعورة المعنى.

وربما استخدم الخركوشي في تفسيره للآية أسلوب الأمر المباشر للنصح والتنبيه إلى المراد من الآية فتجده يقول بعد أن يفرغ من تفسير قوله تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه": (واعلم أن الشفاعة يحتاج إليها في القيامة المطيع والعاصي: فأما المطيع؛ فلزيادة الدرجات. وأما العاصي: فلغفران السيئات.)

وللخركوشى رأيه المستقل النابع عن علمه المعبر عن شخصيته، فيذكر الآراء ويختمها بترجيحه أو رؤيته الخاصة، ففي قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: (وسئل بعضهم عنه؛ فقال: له ما في السماوات من الدلائل على ربوبيته، وما في الأرض من الدلائل على وحدانيته. والآية شاملة للجميع) انظر إلى تعقيبه: "والآية شاملة للجميع" يتضح لك صدق ما وصفناه به.

فإذا دعاه المقام لذكر بعض الروايات التي لا تتفق مع علمه وشخصيته الناقدة سارع بنقدها، ينبئك عن هذا ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فقد ذكر عددا من الروايات في بيان معنى الكرسي والمقصود به ثم ختمها بهذه الرواية.

(وحكى بعض المتقدمين أنه قال: الكرسي ملك من الملائكة، نبه الله تعالى ـ بهذه الآية ـ عباده على عظمته؛ فقال: إن ملكا من ملائكتي ملأ السماوات والأرض؛ فإذا كان خلقا من خلقي له هذه الصفة من العظمة، فكيف تقدر قدرتي؟ وتعرف عظمتي؟) فلم يمرر هذه الرواية مرور الكرام؛ وإنما عقب عليها قائلا:

(وهذه المقالة غريبة جدا) وكم كنت أود أن يكون هذا منهجه في سائر كتابه، إلا أن المتابع لمجالسه سيجد روايات كثيرة فيها من المبالغات والتكلف ما فيها، ومع ذلك لم يتبعها بكلمة نقد واحدة، فربما غلب عليه حين ذكرها الجانب الوعظي التذكيري الذي يرى الواعظ فيه درجة تأثيره في المتلقي ويغض النظر عن صحة أو عقلانية ما يرويه.

ويقدر الخركوشي فيما يذكره من روايات ما ورد في التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم جميعا، وبخاصة ما ورد عن ابن عباس، وابن مسعود، وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهم جميعا، وربما قدم رأي ابن عباس، وبخاصة إذا وافق رأى الجمهور؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ قال ابن عباس، والجمهور: ولا يثقل عليه حفظهما.

كما يقدر رأي التابعين رضي الله عنهم أيضا، وبخاصة المشهورين منهم بعلم التفسير كالحكم بن أبَّان، ومجاهد، والسدى، وابن جريج، ففي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعني علم ما كان، وما يكون، وما مضى من الدنيا وما بقي.

- روي عن الحكم، ومجاهد، والسدى، وابن جريج: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الدنيا. ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ الآخرة.

ولا ينسى الخركوشي أن يختم تفسير الآية بالتوجيه المباشر لإخوانه في مجلسه أن يعتصموا بالله وحده ولا يشركوا به شيئا، فيقول: فاعتصموا به يا إخواني، ووحدوه ولا تشركوا به شيئا؛ ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة لقمان:١٣].

ويختم الخركوشي مجلسه بالحديث عن سبب نزول الآية، فيذكر سببي نزول:

السبب الأول، يقول فيه الخركوشي: (وأما نزولها: فكان الكافرون يعبدون الأصنام، ويسمونها بالآلهة؛ فأنزل الله هذه الآية: فأنزل الله هذه الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]. أخبر أن الإله واحد، لا إله غيره، وأن أصنامهم لا تستحق الألوهية؛ فإنها موات، والله هو الحي القيوم. ثم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨]، فأنزل الله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥] أي: من ذا الذي جعل ما يعبدون [١٠/أ] شفعاء عندي ولا يشفع أحد عندي إلا بإذني.

لفق الخركوشي هنا بين سببين، الأول: أن الكافرين كانوا يسمون أصنامهم آلهة فرد الله عليهم ذلك؛ فأنزل بيانا لصفاته سبحانه وتعالى، ولم أعثر على هذا السبب عند المفسرين المتقدمين على الخركوشي، بل وفي كتب أسباب النزول التي ظهرت من بعده ك (أسباب النزول للواحدي) أو (العجاب في معرفة الأسباب لابن حجر) أو (لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي) .

وأما السبب الثاني: فهو أن الكافرين لما قالوا عن آلهتهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ رد الله عليهم هذا القيل فأنزل .....إلخ، وهذا السبب الأخير ذكره الطبري " ت٣١٠هـ " في تفسيره جامع البيان، لكنه لم يصرح فيه بصيغة من صيغ أسباب النزول، وإنما ساقه كأنه تفسير للآية يقول الطبري:

وأما قوله:" " يعني بذلك: من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم، إلا أن يخليه، ويأذن له بالشفاعة لهم.(١) وإنما قال ذلك تعالى ذكره لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفي! فقال الله تعالى ذكره لهم: لي ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكا، فلا ينبغي العبادة لغيري، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفي، فإنها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئا، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له، من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي).(٢)

ومن الواضح في كلام الطبري، بل وفي كلام الخركوشي أن كلامهما أقرب ما يكون إلى تفسير الآية وبيان معناها، لا إلى ذكر أسباب نزولها؛ لكن الغريب أن ينقل الثعلبي هذا القول في تفسيره على أنه سبب نزول ساندا إياه إلى المفسرين! هكذا على العموم فيقول: (قال المفسرون: سبب نزول هذِه الآية أن الكفار كانوا يعبدون الأصنام، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فأنزلها الله –عز وجل).(٣)

وأما السبب الثاني: الذي ذكره الخركوشي لنزول آية الكرسي فيتمثل في هذه الرواية:

(وقيل: نزلت في وفد نجران، حين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال لهم: (أسلموا). قالوا: أسلمنا [قبلك]؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولكن منعكم عن الإسلام ثلاث خصال:

- أكلكم لحم الخنزير.
- وعبادتكم الصليب.
- وقولكم لله ولد وشريك، قالوا: فما تقول في صاحبنا عيسى؟

قال: أقول إنه عبد الله وابن أمته، ورسوله إلى خلقه.

قالوا: لا تقل مثل هذا فإنه يأنف أن يكون عبد الله؛ فأنزل الله تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله)، وأنزل: لا إله في السماء، ولا في الأرض إلا هو الحي القيوم، الذي لا

---

(١) ويذكره ابن حجر في "العجاب في بيان الأسباب" ١/ ٦٠٩، نقلًا عن الثعلبي.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث: ٥/٣٩٥.

(٣) تفسير الثعلبي ٧/١١٣.

يموت، وعيسى يموت. القيوم: الأول الذي لا بداء له، وعيسى كان بالأمس فكيف يكون أهلا لربوبيته؟).

وهذا السبب لم أجده بنصه الذي ذكره الخركوشي هنا؛ وإنما قريبا منه في مصادر قبل الخركوشي كتفسير مقاتل بن سليمان " ت ١٥٠ هـ جاء فيه: (فإنا نسألك عن أشياء. قَالَ النَّبِيّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لا أخبركم حَتَّى تسلموا فتتبعوني. قَالا: أسلمنا قبلك. قَالَ النَّبِيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إنكما لَمْ تسلما حجزكما عن الْإِسْلام ثلاثة أكلكما الخنزير، وشربكما الخمر، وقولكما إن لله- عَزَّ وَجَلّ- ولدا، فغضبا عِنْد ذَلِكَ. فَقَالا: من أَبُو عِيسَى؟ ائتنا لَهُ بمثل فأنزل اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون)[١]

وفي تفسير السمرقندي: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلم: «أَسْلِمُوا» فقالوا: قد أسلمنا قبلك، فقال لهم: «كَذَبْتُمْ، إِنَّمَا يَمْنَعُكُمْ مِنَ الإِسْلامِ ثَلاثٌ، أَكْلُ لَحْمِ الخَنْزِيرِ، وَعِبَادَةُ الصَّلِيبِ، وَقَوْلُكُمْ: لله وَلَدٌ»، فقالوا له: من أبو عيسى؟ فنزل قوله تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) [آل عمران ٥٩][٢]

ويبدو أن الخركوشي كان من شأنه أن يجمع بين أطراف عدد من أسبابا النزول فيجعلها في ساق واحد؛ ولذلك شق عليَّ العثور عليه بنصه في مصدر واحد والله أعلم.

الملحق الأول:

المجلس رقم ()

[فصل الرابع والخمسون ٢٠٤ في الرضا بقضاء الله، قوله:(واصبر لحكم ربك) هكذا ورد في الفهرس المذكور في أول المخطوط]

مجلس في الرضا بقضاء الله -عز وجل.

---

(١) تفسير مقاتل :٢٨١/١، وفي السيرة النبوية لابن هشام " ت ٢١٣هـ " . ت/ طه عبد الرؤوف ١٦٠/٢، وفي تفسير الطبري ٤٧٨/٦.

(٢) تفسير السمرقندي (١/ ٢١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨﴾ [سورة الطور:٤٨].

قال الأستاذ-رحمه الله: ومعنى هذه الآية: ارض بقضاء ربك فإنك بمرأى منا، ولا شيء من الطاعات أكثر راحة من الرضا، فإن الراضي يجد في الوقت لرضاه راحة مع ما أعد الله له في الآخرة من الثواب على أن رضا الله عز وجل، وهو أكبر الأشياء عن العبد معلق برضى العبد عنه، قال الله تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة:٧٢].

فإنه بلغنا أن بني إسرائيل سألوا لموسى -عليه السلام- قالوا له: سل ربك أمرًا إن نحن فعلناه يرضى عنا فقال موسى -عليه السلام: إلهي، تسمع ما يقولون، فقال: يا موسى، قل لهم يرضوا عني حتى أرضى عنهم.

وسئل بعضهم عن قول الله -عز وجل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [سورة البينة:٨] فقال: رضي الله عنهم برضاهم عن الله في دار الدنيا، ورضوا عنه بثوابه إياهم في الآخرة. وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أعرف رضا الله عني؟ قال: إذا رضيت عنه، قال: أو يكون خلقا لا يرضى عنه، وهو يدعي معرفته؟ قال: نعم، من عاب مواهبه، وسخط المقدور في النعم والمصائب. وحكي عن أبي عبد الله الساجي أنه قال: قرأت في بعض الكتب "يقول الله تعالى: عبدي، إن رضيت عني رضيت عنك، وإن أفردتني لحاجتي أفردتها لك، وإن ترد علي حكمي واليتك، وإن جدت لي بما أعطيتك صافيتك، والذي يشهد على ما قلناه أنه لا طاعة أكبر راحة من الرضا ما حكي عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين. وقال بعض الحكماء: العيش عيش الراضين عن الله، والرضا بقضاء الله من علامات السعادة، فقد أخبرنا عبدالعزيز بن الحسين الفارسي قال: أخبرنا محمد بن عمرو البحري قال: إن أحمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده سعد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: من سعادة ابن آدم استخارته بالله -تعالى- ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ،ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله -عز وجل.

والرضا بقضاء الله–عز وجل–يقتضي لك محبته كما بلغنا عن حاتم أنه قال: إن أردت أن تبقى حبيب الله فارض بما صنع الله بك ،وإن أردت أن تعرف ما في السماء فعليك بصدق اللهجة ؛والرضا بقضاء الله تعالى من سنن الأنبياء –عليهم السلام، فقد قال أبو سليمان الداراني: "الرضا عن الله، والشفقة على الخلق من أخلاق المرسلين"، والرضا بقضاء الله – تعالى– يتضمن قهر النفس الأمارة بالسوء ومخالفتها ،كما قيل لذي النون: من أقهر الناس لنفسه؟ قال: "الراضي بالمقسوم"، وسئل عيسى ابن مريم عليه السلام: أي العمل أفضل وأعلى؟ قال: "الرضا عن الله والحب له"، وأحسن ما بلغني في هذا الباب ما حكي عن أبي عبدالله الساجي أنه قال: إن عبيد الله أرادوا من مواليهم أن يرضوا عنه ،وما كان رضاهم عنه إلا بقدر رضاه عنهم، وفي بعض الكتب أن موسى –عليه السلام–قال: يا رب، أي عبادي أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له ،وقال الحسن: إن فيما حفظت من التوراة "من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء، وأول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ على ما بلغنا إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولي من لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي، فليطلب ربا سواي ،واعلم أن العبودية ثلاثة أشياء: الرضا بالقضاء والصبر على البلاء وشكر النعماء ،فمن رضي بالقضاء فقد أتى بثلثي العبودية ، ومن شكر الله على نعمه فقد أتى بجميع شرائط العبودية ،وذلك أن قضاء الله على ضربين: قضاء نعمة وقضاء شدة ؛فالرضا بقضاء النعمة: الشكر ،والرضا بقضاء الشدة: الصبر، وحكي عن بقية بن الوليد أنه قال لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، لو كتبت هذا الحديث كنا كتبنا ،فقال: شغلني عن ذلك يا ابن أدهم ثلاثة أشياء: التوكل والإخلاص والرضا بالقضاء ،فإذا فرغت منهن فسوف أفعل ما تقول إن شاء الله. قال بقية: فما غاية التوكل؟ قال: أرأيت لو أن رجلا أراد أن يحتال لإحياء ميت، أليس يتعجب منه، ويشهد عليه بالجنون؟ قال: نعم٠ قال: فمن ظن أنه يزيد في رزقه باحتياله واكتسابه فهو أعجب، به إلى الحيوان أقرب ،لأن الله –عز وجل قال﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم:٤٠].

فهذا غاية التوكل، وأما الإخلاص فلو أن رجلا قعد على ترس وعلق من السماء فهو ينزل إلى بابيه أحدهما ينزل منه رزقه، والآخر يصعد فيه عمله هل يري الناس بعبادته كذلك،

وإلا فهو مراء أو يبتغي محمدتهم، وهو آيس من لقائهم، فقال بقية: لا. قال: وكذلك المريض إن كانت عبادته كذلك، وإلا فهو مراء.

وأما الرضا بالقضاء فلو أن رجلا تقادم مرضه ووصف له دواء شديد المرارة، أليس يكره نفسه عليه رجاء برئه؟ قال: نعم قال: فكذلك الراضي إن رضا من الله عز وجل في مكروه ومحبوب رجاء عافيته، وإلا فهو ساخط.

فاعلم أن الراضي بقضاء الله عز وجل هو الذي لا يتمنى شيئا سوى ما يقضيه الله عز وجل، كما قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تشتهي؟ قال: ما يقضي الله. وبلغنا عن الربيع بن خيثم أنه قال: بينا أنا جالس عند أويس القرني إذ أتاه ثلاثة نفر على أحدهم الشعر وعلى الآخر صوف وعلى الآخر ليف فقال صاحب الصوف لصاحبه: أترون لو أن رجلا مر بمزبلة فتناول عظما فأدخله في فيه فأكله أكان الله عز وجل مخرجا رزقه منه؟ قال: نعم قال لهم أويس: رحمكم الله سلوا الله أن يجعل رزقكم في غير هذا فقال صاحب الليف: اسكت يا بطال، إن أولياء الله أرضى عن الله من أن يسألوه أن ينقلهم من حال إلى حال، حتى يكون هو الذي ينقلهم.

وروي أن موسى عليه السلام قام في بني إسرائيل فخطبهم فأحسن وأبلغ فأعجب بها فسل هل من الناس من هو أعلم منك؟ قال: لا فأوحى الله إليه لي من هو أعلم منك. فقال: يا رب آتيتني التوراة فيها علم كل شيء وكلمتني تكليما فمن أعلم مني؟ قال: عبد من عبادي حملته الرسالة وبعثته إلى ملك جبار عات فقطعت يداه ورجلاه وجدع أنفه فأعدت عليه ما قطع ثم أعدته إليه رسولا ثانيا فولى وهو يقول: رضيت لنفسي ما رضيت لي ولم يقل كما قلت إني أخاف أن يقتلون؟

ثم إن العلماء قد تكلموا في الرضا ما هو؟ فقال الحارث المحاسبي: الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم، وسئل الجنيد عن الرضا فقال: رفع الاختيار. قال صاحب الكتاب-رحمه الله: وكيف لا يرفع العبد الاختيار، وقد نفي الله-عز وجل- أن يكون الاختيار إلا له فقال- تعالى: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص:٦٨].

والذي قاله ذو النون في معنى الرضا ثم من قول الجنيد فإنه قال: الرضا ترك الاختيار قبل القضاء، وفقد المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء. وقال بعضهم: الرضا استحسان القضاء، وقال بعضهم: ترك التمني لغير ما قضى الله، فأما الحب لما قضاه فهو عزيز، وحكي عن سهل بن عبد الله أنه قال: المؤمنون في الكافرين، والصالحون في المؤمنين قليل، والصدقون في الصالحين قليل، والصابرون في الصادقين قليل ،والراضون في الصابرين قليل ،والعارفون في الراضين قليل. وسئل بعضهم ما حد الرضا قال: القنوع بما بدا. وقال الثوري: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان. وقال بعضهم: الرضا موافقة الحق من غير مخاض واستطابة المحن لروية المحبوب.

واعلم أن الرضا إنما يتولد من خصلة واحدة؛ وهي أن تعلم أن الله-عز وجل-قد خار لك وبأنه أنظر منك لنفسك، فإذا علمت أنه قد قضى لك الخير وأراده لك فقد رضيت. وبلغنا أن جبريل ويونس-عليهما السلام- التقيا فقال يونس لجبريل: دلني على أعبد أهل الأرض فأتي به إلى رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه ،وهو يقول: متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما عني ما شئت وأبقيت لي فيك الأمل يا باديا وصوله، فقال يونس: إنما سألتك أن تريني صواما قواما فقال: قد كان هكذا قبل حلول البلاء به ،وقد أُمِرتُ أن أسلبه بصره فأشار بأصبعه إلى عينيه فسألنا فقال الرجل: متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما عني حيث شئت وأبقيت لي فيك الأمل يا باديا وصول ،فقال جبريل -عليه السلام: هلم تدع الله وندع معك أن يرد عليك بصرك وجوارحك فتعود إلى العبادة فقال: ما أحب ذلك فقال: ولم؟ قال: إذا كانت محبته في هذا فمحبته أحب إلي من ذلك، وقال يونس-عليه السلام: ما رأيت أحدا أصبر من هذا قط ،فقال جبريل: يا يونس ،لن يوصل رضا الله بشيء أفضل من التسليم لأمره والرضا بقضائه.

وعن الحارث المحاسبي قال: لم يزل العارفون يحفرون خنادق الرضا ويغوصون في أنهار الرجا ويستخرجون جواهر الصفا حتى وصلوا إلى الله في السر والخفا قوله-تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [سورة الطور:٤٨].

قال أبو العباس بن عطا: فإنك مغمور في حفظنا وغريق في فضلنا ومستور بسترنا، ومن اختص بالله كان في حفظه، ومن كان في حفظه كان في مشاهدته، ومن كان في مشاهدته

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استقام معه ووصل إليه، ومن وصل إليه انقطع عما سواه، ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين.

وقيل: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ لسنا نغفل عنك، وعن يوسف بن الحسين قال: جاء رجل إلى ذي النون فقال: أوصني، فقال: انظر أن لا تتقدم في همة ولا تتأخر في أخرى، فقال الرجل: اشرح لي- يرحمك الله ،فقال ذو النون: تلق عن قلبك ذكر ما مضى وذكر ما بقي وتكون قائما وتعلم أنك في جميع أحوالك بعلمه كما قال الله- عز وجل: وقال جعفر الخواص: عند هذا الخطاب سهل عليه فاتحة الصبر واحتمال موته ،وكذلك كل حال يرد على العبد في محل المشاهدة ، وقيل: إن العين هو الجاسوس في اللغة ،فذكره الله بلفظ الجمع أي أن جواسيسنا وموكلينا يحفظون عليك أنفاسك كما قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:١٨].

المجلس رقم (٨٢)

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [سورة فصلت:٣٠].

مجلس في قوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [سورة فصلت:٣٠].

قال: إن الله عز وجل وصف أمة محمد صلي الله عليه وسلم بأشياء منها: العدالة، قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

ومنها الدعوة إلي الخير: قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].

ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤].

ومنها الصلاح: قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٥] يعني أمة محمد.

ومنها الاستقامة علي التوحيد: وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [سورة فصلت:٣٠].

وروي ثابت عن أنس أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: أمتي ورب الكعبة. وحكي بعضهم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضوان الله عليه، ثم هي عامة في الأمة بعده.

وإنما قلنا إن هذه الآية من خصائص هذه الأمة لأن اليهود قالوا ربنا الله ثم قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا ربنا الله ثم قالوا والمسيح ابن الله وهذه الآية قالوا ربنا الله ثم لم يلبسوا إيمانهم بظلم. ويقال إن الجميع أقروا به يوم الميثاق لأنهم قالوا بلي حين قال ألست بربكم ثم إن الكافرين بدلوا وغيروا وأشركوا وكفروا منهم من عبد الأصنام ومنهم من دعي لله ولدا ومنهم من نافق

وروي أنس بن مالك: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [سورة فصلت:٣٠] ثم قال: قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام.

وعن سفيان ابن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، مرني بأمر اعتصم به! قال: قل ربي الله ثم استقم. وبلغنا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: لا يستقيم إيمان العبد حتي يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتي يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتي يأمن جاره بوائقه.

وقد اختلفوا في معني الاستقامة:

فقال: أبو بكر الصديق في كتابة رضوان الله عليه (استقاموا فعلا كما استقاموا قولا).

وفي رواية أخري أنه تلا هذه الآية فقال لأصحابه: ما تقولون في قوله ثم استقاموا؟ قالوا لم يذنبوا. قال أبو بكر: حملتم إلا من علي أشده! قالوا: فما تقول أنت؟ قال: معناه لم يرجعوا إلي عبادة الأوثان. وعن الزبيدي أنه قال: تلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي المنبر إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللهِ لله علي طاعته، ولم يرغوا روغان الثعالب، ومعناه: لم ينافقوا

وقال عثمان: رضي الله استقاموا حتي أخلصوا العمل لله.

وقال علي بن أبي طالب: ثم استقاموا يعني أدوا الفرائض. وقال عبدالله بن عباس: ثم استقاموا علي عبادة الله وعلي طاعته

وعن مجاهد: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اسلموا ثم لم يشركوا.

وعن عكرمة: قال ثم استقاموا علي شهادة أن لا إله إلا الله.

وعن الحسن البصري: ثم استقاموا أي لم يعرجوا وروي ذلك عن ابن سيرين.

وروي عمرو بن عبيد: أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال اللهم فارزقنا الاستقامة وعن مقاتل بن سليمان قال استقاموا علي المعرفة ولم يرتدوا وعن مقاتل بن حبان ثم استقاموا لله ربهم.

وعن الفضيل بن عياض: في قوله ثم استقاموا قال زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية.

وعن الربيع بن أنس: قال ثم استقاموا عرضوا عما سوي الله.

وعن ابن عطاء: قال استقاموا علي انفراد القلب بالله.

وقال استقاموا علي لأن من عرف شيئا لا يهاب غيره ولا يطالع سواه.

وقيل الاستقامة في العمل علي أربعة وجوه في أربعة أركان، وعلي القول والعمل والمعرفة والإخلاص.

فأما الاستقامة في القول: هي لن تقول قولا بلا نفاق.

والاستقامة في العمل: عملا بلا رياء.

والاستقامة في المعرفة: أن تكون معرفته بلا تعليق.

والاستقامة في الإخلاص: أن يكون إخلاصًا، بل شرك خفي

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ يعني استقاموا فعلا، كما استقاموا قولًا، واستقاموا سرًا كما استقاموا جهرًا، واستقاموا بطنًا كما استقاموا ظاهرا، فإن حقيقة الاستقامة الفرار بعد الإقرار.

تتنزل عليهم ملائكة الحماية أن لا تخافوا علي الولاية، ولا تحزنوا علي ما جري منكم من الجناية، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في البداية.

وقيل الاستقامة: أن يكون قولًا تحته عمل، وعمل تحته إخلاص، وإخلاص تحته معرفة، فإذا استقام القول والعمل استقام العمل والإخلاص، واستقام الإخلاص والمعرفة، فذلك على الحقيقة.

وقيل هو الاستقامة: علي ما تقتضيه العبودية ظاهرا وباطنا.

وقال ابو بكر الواسطي: استقاموا علي ترك ما دون الله عز وجل.

وسئل الشبلي: ما الاستقامة قال أن تري الدنيا قيامة.

وقال بعضهم الاستقامة: مساواة الأحوال مع الأفعال والأقوال وهو أن لا يخالف الظاهر والباطن، والباطن للظاهر، فإذا استقمت واستقامت أحوالك فاستغفر من ـ استقامتك واعلم أن الله هو الذي قوَّمك لا أنت استقمت.

وقال محمد بن الفضل: حاجة جميع الموحدين فبها كملت محاسن وبفقدها قبحت القبائح.

ـ وقيل الاستقامة: افتقارك إلي الله عز وجل ـ العزم وقال ابو علي الجرجاني كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة.

وقد قال الله عز وجل لنبيه صلي الله عليه وسلم: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [سورة هود:١١٢] ثم إن الاستقامة شيء صعب، ألم تسمع إلى ما روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: شيبتني هود! قال: وما الذي شيبك منها يا رسول الله؟ قال: فاستقم كما أمرت. وروي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة. وقال ابن عطاء: معناه ألا تطيقوا الاستقامة التي أمرتم بها.

وقيل لأبي حفص: أي العمل أفضل؟ قال: الاستقامة؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم قال: استقيموا.

وحكي أن إماما قال لقومه المؤتمين به قبل تكبيرة الإحرام: استووا، فارتعدت أعضاؤه، وخر مغشيا عليه، فلما أفاق قال: ما أصابك؟ قال: لما قلت لكم استووا فهتف بي هاتف من سري هل استويت أنت، واستقمت لله عز وجل في عمرك ساعة واحدة حتي تأمر بها غيرك؟ أما تستحي!

ثم إن للمستقيم ثلاث علامات كما حكي عن الثوري أنه قال: لا يكون الرجل مستقيما حتي يجد من نفسه ثلاثا: الخوف والسخاوة والتواضع. وله ثلاث أحوال كما قال يحي بن معاذ: لا بد للمستقيم من ثلاثة أشياء: بيت ومعاش وحرفة، فبيته الخلوة، ومعاشه التوكل، وحرفته العبادة. وأما قوله عز وجل: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في الآخرة. وقال مجاهد: تتنزل عليهم عند الموت. وروى معمر عن قتادة: تتنزل عليهم إذا قاموا من قبورهم. وعن زيد بن أسلم أنه

قال: تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس إنما تتنزل عليهم الملائكة في الآخرة. وقال مجاهد: تتنزل عند الموت. وروي معمر عن قتادة: تتنزل عليهم إذا قاموا من قبورهم. وعن زيد بن أسلم في ثلاث مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث. والملائكة هم الحفظة علي قول عكرمة والسدي.

قوله: (أن لا تخافوا) ليس في مصحف عبدالله بن مسعود، وإنما فيه: (تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا) وإنما تكون هذه البشارة لمن يكون خائفا من الدنيا، فأما من كان ءامنا من الدنيا فإنه لا يقال لا تخف.

وروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي صلي الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل: ((وعزتي لا أجمع علي عبدي خوفين ولا آمنين، إذا خافني في الدنيا أمَّنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة)).

قال أبو العالية لا تخافوا علي ضعتكم، ولا تحزنوا علي ذنوبكم، فإني أغفر لكم.

وقيل لا تخافوا إلي ما بين يديكم من أموال القيمة، ولا تحزنوا علي ما خلفتم من الأهل والولد، فإني أخلفكم فيه. وقيل لا تخافوا دخول النيران، ولا تحزنوا علي ما جري منكم من العصيان، وأبشروا برضا الحنان المنان.

وقيل لا تخافوا ما أمامكم من الأهوال ولا تحزنوا علي ما خلفتم من العيال وأبشروا ـ الملك المتعال.

وقوله: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ عن السدي قال: معناه عن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة.

وقال أبو جعفر: من لاحظ في أعماله الثواب والأعواض كانت الملائكة أولياؤه، ومن تحقق في أفعاله وعملها علي مشاهدة أمرنا فهو وليه؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ -من اللذات والنعيم- وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ما تتمنون وتختارون.

ثم قال: ﴿نُزُلًا﴾ [سورة فصلت:٣٢] أي أعطاكم ربكم نزلا، والنزل ما يقدمه المضيف لضيفه من أنواع ـ والإكرام، واشتق ذلك من النزول، كما أن طعام البناء سمي الوكيرة، واشتق ذلك من الوكر. وقيل النزل جعل من غفور رحيم؛ من غفور لذنوبكم، رحيم لا يعاقبكم بعد توبتكم، فشتان ما بين البشارتين، وبين المنزلين، وبين الشَّرَابين، وبين الثوبين، وبين النوامين، وبين المنزل.

أما البشارتان: فأحدهما: يوم تقول الملائكة: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ [سورة الفرقان:٢٢].

والثانية قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [سورة فصلت:٣٠] لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة.

والنزلان: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الواقعة:٩٣]. والثاني: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

والشرابان: أحدهما: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [سورة الإنسان:٢١].

والثاني: قوله جل ذكره: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [سورة الأنعام:٧٠].

والثيابان: أحدهما قوله تعالى: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [سورة الحج:١٩].

والثاني: قوله جل وعز: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [سورة الإنسان:٢١].

والمنزلان أحدهما: قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الفرقان:٦٦].

والثاني: قوله جل ذكره: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الفرقان:٧٦].

ثم إن الله وصف أحد المنزلين بالضيق، والثاني بالسعة.

فقال في ذكر النار: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [سورة الفرقان:١٣].

وفي ذكر الجنة: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]. ثم وقف الفريقين فقال لأهل المنزل الأول: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الانفطار:١٣] ولأهل المنزل الثاني: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار:١٤].

جعلنا الله بفضله من أهل الجنة والنعيم، وخلَّصنا من الجحيم إنه هو الغفور الرحيم.

الخاتمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على من كانت دعوته نورا وهدى، وعلى آله وصحبه الكرام البررة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن ظهور كتاب " اللوامع وترتيب المجالس" إلى النور يعد إضافة علمية جديدة وفريدة فى علم التفسير بصفة خاصة؛ والدراسات القرآنية بصفة عامة؛ لتفرده بالجمع بين التذكير هدفا، والتفسير منهجا.

كما أن ذلك يمثل دافعا لشباب الباحثين فى مجال التفسير وعلوم القرآن وبخاصة في تحقيق ما يتعلق بهما من مخطوطات للكشف عما تحويه المكتبة الإسلامية الزاخرة من نوادر علمية لا تزال مخطوطة؛ سيكون لتحقيقها وظهورها إلى النور بالغ الأثر فى تعديل وتبصير كثير من ذوي الأفكار المغالية، وبخاصة في الفكر الصوفي سواء بقبوله أم رفضه.

وإضافة إلى ما سبق فإن الكشف عن الجانب الإصلاحي والدعوى في شخصية الخركوشي يعطى الدعاة في عصرنا هذا نموذجا وقدوة للدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، والتي تتمثل في مخاطبة الفكر والعقل والوجدان والعاطفة، بل والجسد أيضا وكل ذلك فى آن واحد.

وسيجد القارئ فى هذا البحث أيضا إضافة كتابين جديدين من كتب الخركوشى، الأول منهما لايزال مخطوطا وهو كتاب: "اليسر بعد العسر"، والآخر هو كتاب "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" المنسوب زورا لابن سيرين، فقد أثبت بحثنا هذا أنه لأبي سعد الخركوشي رحمه الله.

وأخيرا فإننا أردنا فى بحثنا هذا أن نلقى الضوء على هذا السفر: عظيم النفع، جليل القدر سائلين الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا صالحا ولوجهه خالصا، فهو وحده المستعان وعليه التكلان، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة النحل:٩]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر الرئيسة:

[اللوامع وترتيب المجالس ـ مخطوط ـ لأبي سعد عبد الملك الخركوشى ـ تحت الطبع]

[تهذيب الأسرار في مقامات الأخيار أو فى طبقات الأخيار

وهو أول ما طبع للخركوشي بتحقيق بسام محمد بارود / نشره المجمع الثقافي ١٩٩٩م الإمارات.

وظهرت له مؤخرا طبعة أخرى بتحقيق د / عرفان كندوز ـ دار نشر جامعة ابن خلدون، ٢٠٢٣م وهو كتاب فى أصول التصوف، وربما يكون هو كتاب سير العباد والزهاد.]

***

مصادر الدراسة

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم لـ محمد البشاري المقديسي ت / د محمد مخزوم ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة ـ ط ٣ ١٩٩١م.

إحياء علوم الدين للغزالى ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ د. ت.

أدب الدنيا والدين ـ أبو الحسن الماوردى ـ مكتبة الحياة ـ ١٩٨٦م.

الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ ط ١٥ ٢٠٠٢م.

الأنساب ـ لأبي سعد السمعاني ـ حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند ط١ ١٩٢٦م.

بحر العلوم ـ لأبي الليث السمرقندي ـ نشر الشاملة ـ ١٤٣١هـ.

تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادى ـ ت / بشار عواد ـ دار الغرب الإسلامى ـ بيروت ـ ٢٠٠٢م.

التبصرة لابن الجوزي، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري ـ لابن عساكر ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٣ ١٤٠٤هـ.

التذكرة فى الوعظ لابن الجوزي ـ ت أحمد عبد الوهاب فتيح ـ دار المعرفة. بيروت٢٠٠٦م.

التعريفات للجرجاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ ١٤٠٣هـ.

تفسير مقاتل بن سليمان . ت/ دكتور/ عبدالله شحاته . ط١ ١٤٢٣هـ.

ـ ابن حجر العسقلانى . ت/ محمد عوامة . ط١ دار الرشيد سوريا . ١٤٠٦هـ.

تلخيص تاريخ نيسابور ـ للحاكم النيسابوري ـ ت/ بهمن كريمى . طهران . ١٣٣٩هـ.

تهذيب الأسرار للخركوشي.

التوقيف على مهام التعاريف للمناوي . عالم الكتب . القاهرة . ط١ ١٤١٠هـ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ الطبري . ت/ د عبد الله التركى . دار هجر . ط١ ٢٠٠١م.

حسن المحاضرة ـ السيوطي ـ ت/ محمد أبو الفضل . عيسى الحلبي ١٩٦٧م.

الرسالة القشيرية . عبد الكريم القشيرى . ت / د عبد الحليم محمود . دار المعارف القاهرة ١٤٣١هـ.

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة . الكتاني . ت/ محمد المنتصر. دار البشائر. ط٦ ٢٠٠٠م.

زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزي . ت/ عبد الرزاق المهدي . دار الكتاب العربى . بيروت . ط١ ١٤٢٢هـ.

السيرة النبوية لابن هشام " ت ٢١٣هـ " . ت/ طه عبد الرؤوف . شركة الطباعة الفنية . ١٤٣١هـ.

سنن ابن ماجة ـ ابن ماجة القزويني . ت/ محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء الكتب . ١٤٣١هـ.

سنن الترمذي . محمد بن عيسى الترمذي . ت/ أحمد محمد شاكر . مكتبة الحلبي . مصر . ط٢ ١٣٩٥هـ.

سير أعلام النبلاء ـ الذهبي . ت/ شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة . ط٣ ١٤٠٥هـ.

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي . ت/ محمود الأرناؤوط . دار ابن كثير. دمشق ط١ . ١٤٠٦هـ.

صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ ت/ مصطفى البغا ـ دار ابن كثير ـ ط٥ ـ ١٤١٤هـ.

الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ت/ على محمد عمر ـ الخانجى ـ القاهرة ـ ط١ ٢٠٠١م.

طبقات الشافعية ـ للسبكي ـ ت/ د محمود الطناحي ـ هجر للطباعة ـ ط٢ ١٤١٣هـ.

غاية النهاية ـ شمس الدين ابن الجزري ـ مكتبة ابن تيمية ـ ط١ ١٣٥١هـ.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ لابن حجر ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٧٩هـ.

الفروق ـ للقرافي ـ عالم الكتب ـ د.ت.

القصاص والمذكرين ـ لابن الجوزي، ت/ محمد لطفي الصباغ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٩هـ.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة ـ مؤسسة التاريخ العربي ـ ١٩٤١م.

الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية ـ لأبي البقاء ـ ت/ عدنان درويش ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٣١هـ

لسان الميزان ـ لابن حجر ـ مؤسسة الأعلمى ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٠هـ.

اللباب فى تهذيب الأنساب ـ لابن الأثير ـ دار صادر ـ بيروت ١٤٣١هـ.

المحكم والمحيط الأعظم ـ لابن سيدة المرسى ـ ت/ د عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ.

المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم ـ ت/ مصطفى عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١١هـ.

المسند ـ للإمام أحمد – الطبعة الميمنية (طبعة الحلبي) جمادى الآخرة 1313هـ،

مشارق الأنوار على صحاح الآثار ـ القاضي عياض ـ دار التراث ـ ١٤٣١هـ.

معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٩٥م.

معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ـ مكتبة المثنى ـ بيروت ـ ١٤٣١هـ.

مقاييس اللغة ـ لأحمد بن فارس ـ ت/ عبد السلام هارون ـ دار الفكر ـ ١٣٩٩هـ.

ميزان الاعتدال . للذهبي ـ ت/ البجاوي . دار المعرفة بيروت . لبنان . ط١. ١٣٨٢هـ.
الوافي بالوفيات . صلاح الدين الصفدي . ت/ أحمد الأرناؤوط . دار إحياء التراث . بيروت . ١٤٢٠هـ.

****